المصارعة الروحية

ويريك برنس

المحتويات

الجزء الأول: طبيعة الحرب

الفصل الأول: مواجهة بين مملكتين ٧
الفصل الثاني: مقر الشيطان ١٩
الفصل الثالث: معركة الملائكة ٣١
الفصل الرابع: الأسلحة وساحة المعركة ٤١
الفصل الخامس: أساس إنتصارنا ٥١

الجزء الثاني: أسلحة الدفاع

الفصل السادس: سلاح الله الكامل ٦٥
الفصل السابع: مِنطقة الحق ٧٣
الفصل الثامن: درع البر ٧٧
الفصل التاسع: حذاء إستعداد الإنجيل ٨٧

الفصل العاشر: ترس الإيمان ٩٥
الفصل الحادي عشر: خوذة الخلاص ١٠١
الفصل الثاني عشر: سيف الروح ١١٥
الفصل الثالث عشر: منطقة بلا حماية ١٢٣

الجزء الثالث: أسلحة الهجوم

الفصل الرابع عشر: المبادرة بالهجوم ١٢٩
الفصل الخامس عشر: سلاح الصلاة ١٤١
الفصل السادس عشر: سلاح التسبيح ١٥٣
الفصل السابع عشر: سلاح الكرازة ١٦٥
الفصل الثامن عشر: سلاح الشهادة ١٧٧
نبذة عن الكاتب ١٨٩

الجزء الأول

طبيعة الحرب

الفصل الأول

مواجهة بين مملكتين

يصف العهد الجديد شعب الله بصور متنوعة، ففي رسالة أفسس ـ مثلاً ـ يقدم الكتاب شعب الله بالصور التالية: عائلة، هيكل، وعروس المسيح. أما الصورة الأخيرة لشعب الله في الرسالة إلى مؤمني أفسس فهي صورة الجيش.

ومن التزامات هذا الجيش أن يحارب حرباً عالمية في حجمها، إذ إنها تؤثر على كل جزء من أجزاء العالم الذي نعيش فيه. بل إن كلمة «عالمية» لا تفي بوصف حجم هذا الصراع، فهو صراع لا

يشمل الأرض فحسب، بل يمتد خارج الأرض إلى السموات نفسها. والواقع أن العبارة الأكثر ملائمة لوصف هذا الصراع هو «حرب كونية» لا «عالمية»، فهي حرب تشمل الكون المخلوق كله.

أما المقطع الكتابي الذي يعلن هذا الصراع بوضوح ويصف طبيعته فهو (أفسس ٦: ١٠ ـ ١٢)، فلنقرأ معاً العددين (١٠، ١١)، سأذكر أولاً ترجمة النسخة الدولية الجديدة ثم نقارن العدد (١٢) في ترجمات أخرى للكتاب المقدس:

«أَخِيراً يَا إِخْوَتِي تَقَوُّوا فِي الرَّبِّ وَفِي شِدَّةِ قُوَّتِهِ. الْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ.»

يؤكد بولس على أننا كمؤمنين نخوض حرباً نحتاج فيها إلى السلاح المناسب. ويقول إن عدونا

هو إبليس نفسه. وفي العدد (١٢)، يتابع بولس موضحاً طبيعة هذه الحرب فيقول:

«فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ، عَلَى ظُلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ.»

وفي الترجمة العربية المشتركة الجديدة:

"فنحن لا نحارب أعداءً من لحم ودم، بل أصحاب الرئاسة والسلطان و السيادة على هذا العالم، عالم الظلام و الأرواح الشريرة في الأجواء السماوية".

وفي الترجمة الكاثوليكية (الطبعة الثانية عشر، دار المشرق ١٩٨٦):

" فلسنا نكافح أعداءً من لحم ودم، بل

أصحاب الرئاسة وولاة هذا العالم، عالم الظلمات: نكافح الأرواح الخبيثة في الجو"

ففي أيّة ترجمة أردت، فمن الواضح إننا ـ كمؤمنين ـ طرفٌ في صراع هائل مذهل، لا يمكن التغاضي عنه.

ولقد تأملت مراراً وتكراراً في (أفسس ٦: ١٢) في اللغة اليونانية الأصلية، ثم عمدت بعد ذلك إلى وضع صياغة تفسيرية خاصة لهذا العدد يُمكنك أن تسميها "ترجمة ديريك برنس":

"فإن مباراة المصارعة التي نخوضها، ليست ضد لحم ودم (أي ليست ضد أشخاص ذوي أجساد)، بل ضد حكام على مناطق مختلفة، وذوي رتب متسلسلة في السلطان، ضد المسيطرين على العالم في ظلمة هذا الدهر، ضد قوى الشر الروحية في السماويات".

لماذا اخترت هذه الكلمات؟ أقول: "... حكام على مناطق مختلفة، وذوي رتب متسلسلة". لأن هذه الكلمات تصور مملكة على قدر كبير من الترتيب والتنظيم، وفيها رُتب مختلفة متسلسلة: حكام ذوي مناصب أعلى وآخرون أقل منهم وهكذا، وهؤلاء مسئولون عن مناطق مختلفة. وقد إستخدمت الكلمة "مسيطرين" قائلاً: "... المسيطرين على العالم في ظلمة هذا الدهر"، لأن الكلمة "يسيطر" تصف بشكل واضح كيفية معاملة الشيطان للبشر.

وتؤكد معظم الترجمات على أن مقر هذه المملكة المنظمة هو في "السماويات". (سنأتي إلى توضيح ذلك في الفصل الثاني).

وفيما يلي بعض الملاحظات التي نستخلصها من (أفسس ٦: ١٢):

أولاً: يشمل هذا الصراع كل المؤمنين، ولا يقتصر على فئة معينة محددة كالمرسلين أو الرعاة أو المبشرين، بل يشمل الجميع. وهذه حقيقة يتغافل عنها كثيرٌ من المؤمنين.

تبدأ الترجمة العربية الجديدة هذا العدد هكذا: "فنحن لا نحارب أعداءً من لحم ودم...". ويبدو كأن معظم المؤمنين وقفوا عند هذا الحد، ووضعوا (نقطة) وراء هذه الكلمات ـ فلم يقرأوا تكملة الآية! فكل ما يفعلونه هو الجلوس على المقاعد في مبنى الكنيسة، وترديد بعض الترانيم، لكن بولس يقصد أن يقول: "نحن في حرب، في مصارعة، لكنها ليست ضد لحم ودم."

لاحظ أيضاً عبارة "مباراة المصارعة"، فالمصارعة المباشرة هي أشد أشكال الصراع بين شخصين،

إذ ينبغي إستخدام كل جزء من الجسد وكل مهارة وحيلة سعياً وراء الفوز. إنه صراع شامل وجامع.

يسود الشيطان على مملكة منظمة جداً، تحتوي على عدة تقسيمات ومستويات في السلطة. أما مقر المملكة فهو في السماويات، أو في الأماكن السماوية. إنها حقيقة مذهلة حقاً، لكنها مُعلنة وواضحة تماماً.

ويندهش بعض الناس من حقيقة المستوى التنظيمي الدقيق في مملكة يرأسها الشيطان. لكن الكتاب المقدس يُطالعنا بمؤشرات واضحة كثيرة في هذا الصدد: ففي (متى ١٢: ٢٢ـ ٢٨) نقرأ كيف شفى يسوع رجلاً مَجْنُونٌ أَعْمَى وَأَبكم، وذلك بطرد الروح الشرير منه. ثم يقول الكتاب في (متى ١٢: ٢٣-٢٤):

«فَبُهِتَ كُلُّ الْجُمُوعِ وَقَالُوا: «أَلَعَلَّ هَذَا هُوَ ابْنُ دَاوُدَ؟». أَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ فَلَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «هَذَا لاَ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ إِلاَّ بِبَعْلَزَبُولَ رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ».

ويعني «بِبَعْلَزَبُولَ» حرفياً "رب الذباب". وهو لقب الشيطان من جهة كونه حاكماً على الأرواح الشريرة، لأن الأرواح الشريرة تُشبه بعالم الحشرات (وخاصة الذباب الذي يتجمع على القذارة والأوساخ). وقد أجاب يسوع الفريسيين كما نرى في العددين التاليين في (متى ١٢: ٢٥ ـ ٢٦) يقول:

«فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: «كُلُّ مَمْلَكَةٍ مُنْقَسِمَةٍ عَلَى ذَاتِهَا تُخْرَبُ، وَكُلُّ مَدِينَةٍ أَوْ بَيْتٍ مُنْقَسِمٍ عَلَى ذَاتِهِ لاَ يَثْبُتُ. فَإِنْ كَانَ الشَّيْطَانُ يُخْرِجُ الشَّيْطَانَ فَقَدِ انْقَسَمَ عَلَى ذَاتِهِ. فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَمْلَكَتُهُ؟».

ومن الواضح في هذا النص:

أولاً، أن للشيطان مملكة.

ثانياً، إنها مملكة غير منقسمة، بل هى على درجة كبيرة من التنظيم.

ثالثاً، إنها مملكة ثابتة حتى الآن ولم تخرب بعد.

ويتابع يسوع قائلاً في (متى ١٢: ٢٧ ـ ٢٨):

«وَإِنْ كُنْتُ أَنَا بِبَعْلَزَبُولَ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَأَبْنَاؤُكُمْ بِمَنْ يُخْرِجُونَ؟ لِذَلِكَ هُمْ يَكُونُونَ قُضَاتَكُمْ! وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَنَا بِرُوحِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ!».

ويذهب يسوع هنا إلى ذكر مملكة أخرى هى «مَلَكُوتُ اللهِ»، إنه يؤكد مسألة تتعلق بالكشف عن الصراع القائم بين المملكتين إذ يقول: «**إِنْ**

كُنْتُ أَنَا بِرُوحِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ!»، أي أن خدمة إخراج الشياطين (الأرواح الشريرة) تكشف قوات مملكة الشيطان، وتبرهن أيضاً على سيادة ملكوت الله. ذلك لأن إخراج الأرواح الشريرة يتم تحت سلطان مَلَكُوتُ اللهِ والخُلاصة أن هناك مملكتين متعارضتين: مَلَكُوتُ اللهِ ومملكة الشيطان.

مرة أخرى، يقول بولس في (كولوسي ١: ١٢ ـ ١٤):

«شَاكِرِينَ الآبَ الَّذِي أَهَّلَنَا لِشَرِكَةِ مِيرَاثِ الْقِدِّيسِينَ فِي النُّورِ، الَّذِي أَنْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ وَنَقَلَنَا إِلَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ، الَّذِي لَنَا فِيهِ الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا».

لاحظ أنه يتحدث عن عالمين أو مملكتين: مملكة النور حيث ميراثنا، ومملكة الظلمة. أما

الكلمة المترجمة هنا «سُلْطَانِ» فهي ترجمة للكلمة اليونانية "exusia" وهي ترجمة صحيحة ودقيقة، فللشيطان سلطان شئنا أم أبينا، إنه يملك على مملكة يُقر الكتاب المقدس على وجودها. وهكذا تقف هاتان المملكتان وجهاً لوجه في حرب مميتة، وتصل هذه الحرب إلى ذروتها في أيامنا هذه، حيث يقترب هذا العصر من نهايته.

الفصل الثاني

مقـر الشيطان

يوضـح بولـس في (أفسـس ٦: ١٢) أننـا كمؤمنـين طـرف في حـرب شرسـة، هي صراع حيـاة أو مـوت. أمـا الطـرف الآخـر فهـو تلـك المملكـة المنظمـة المأهولـة بـالأرواح الشريـرة المتمـردة، ومقرهـا في السَّـمَاوِيَّاتِ.

وتثـير الكلمـة «السَّـمَاوِيَّاتِ» مشـكلة في أذهـان المؤمنـين: إن كان الشـيطان قـد طُـرد مـن السـماء منـذ وقـت طويـل، فكيـف مـازال يحتـل مكانـاً في نطـاق السـماء؟!

أجيب عن هذا السؤال بالإشارة إلى بعض المقاطع الكتابية التي تصف أحداثاً تعود إلى فترة طويلة بعد عصيان الشيطان وطرده من السماء. وتُشير هذه المقاطع إلى أن الشيطان كان قادراً على الدخول إلى محضر الله في السماء.

نقرأ من (أيوب ١: ٦ ـ ٧) ما يلي:

«وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضاً فِي وَسَطِهِمْ. فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟» فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ: «مِنَ الْجَوَلاَنِ فِي الأَرْضِ وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا».

وتتكرر الحادثة نفسها في (أيوب ٢: ١ ـ ٢):

«وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضاً فِي وَسَطِهِمْ لِيَمْثُلَ أَمَامَ

الـرَّبِّ. فَقَـالَ الـرَّبُّ لِلشَّـيْطَانِ: «مِـنْ أَيْـنَ جِئْـتَ؟» فَأَجَـابَ الشَّـيْطَانُ: «مِـنَ الْجَـوَلاَنِ فِي الأَرْضِ وَمِـنَ التَّمَـشِّي فِيهَـا».

وهكـذا نـرى كيـف كان للشـيطان دخـول مبـاشر إلى محـضر الله في ذلـك الوقـت (أيـام أيـوب). فعندمـا جـاءت ملائكـة الله إلى محـضر الله لـكي تقـدم تقاريرهـا، كان الشـيطان بينهـم هنـاك. ويبـدو مـن النـص أن الملائكـة الأخـرى لـم تتعـرف على الشـيطان. ويمكـن فهـم ذلـك على خلفيـة كلمـات بولـس في (٢كورنثـوس ١١: ١٤)، حيـث يؤكـد أن:

«الشَّيْطَانَ نَفْسَهُ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ!»

وهـذا يـوّلد عنـدي انطبـاعاً مفـاده أن الـرب وحـده له القـدرة على معرفـة هويـة الشـيطان. يبـدو إذاً أن الشـيطان كان قـادراً على الظهـور في محـضر الله على

إنه واحد من الملائكة، ومن دون أن يكتشفه الملائكة الآخرون.

ثم يقول الرب: «مِنْ أَيْنَ جِئْتَ؟» بمعنى "ما الذي تفعله هنا؟!" لم يطرد الرب الشيطان من محضره فوراً، لكنه تحدث إليه. إذاً نحن نعرف الآن أن الشيطان كان يستطيع الدخول إلى محضر الله أيام أيوب.

وفي (رؤيا ١٢: ١٠) يقول:

«وَسَمِعْتُ صَوْتاً عَظِيماً قَائِلاً فِي السَّمَاءِ: «الآنَ صَارَ خَلاَصُ إِلهَنَا وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ وَسُلْطَانُ مَسِيحِهِ، لأَنَّهُ قَدْ طُرِحَ الْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا الَّذِي كَانَ يَشْتَكِي عَلَيْهِمْ أَمَامَ إِلهَنَا نَهَاراً وَلَيْلاً.»

الشيطان هو «الْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا» لاحظ إنه ـ

وحتى ذلك الوقت ـ كان لا يزال يَشْتَكِي على شعب الله، وفي محضر الله، نَهَاراً وَلَيْلاً، ونتابع في (رؤيا ١٢: ١١ ـ ١٢):

«وَهُمْ غَلَبُوهُ بِدَمِ الْحَمَلِ وَبِكَلِمَةِ شَهَادَتِهِمْ، وَلَمْ يُحِبُّوا حَيَاتَهُمْ حَتَّى الْمَوْتِ. مِنْ أَجْلِ هَذَا افْرَحِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ وَالسَّاكِنُونَ فِيهَا. وَيْلٌ لِسَاكِنِي الأَرْضِ وَالْبَحْرِ، لأَنَّ إِبْلِيسَ نَزَلَ إِلَيْكُمْ وَبِهِ غَضَبٌ عَظِيمٌ، عَالِماً أَنَّ لَهُ زَمَاناً قَلِيلاً».

تشير هذه الفقرة وما قبلها إلى أن الشيطان لا يزال يدخل إلى محضر الله، ومازال يستغل دخوله هذا لكي يشتكي على شعب الله. ومن الواضح أن الفقرات الكتابية التي إقتبسناها تتحدث عن أزمنة جاءت بعد سقوط الشيطان بكثير. فما هو تفسير ذلك إذاً؟ أنا أعتقد أن هناك أكثر من سماء واحدة، وهي حقيقة واضحة في الكتاب المقدس كله.

في (تكوين ١: ١) نقرأ ما يلي:

«فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ.»

والكلمة العبرية المترجمة «السَّمَاوَاتِ» هي "شماييم" حيث يدل الحرفين الآخيرين منها على صيغة الجمع. إنها المرة الأولى التي يذكر فيها الكتاب شيئاً عن السماء، فهو يشير إليها بالجمع لا بالمفرد.

وفي (٢أخبار الأيام ٢: ٦) ينطق سليمان بهذه الكلمات في معرض صلاته للرب وقت تدشين الهيكل ويقول: «**وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْنِيَ لَهُ بَيْتاً، لأَنَّ السَّمَاوَاتِ وَسَمَاءَ السَّمَاوَاتِ لاَ تَسَعُهُ ! ...**»

وتشير العبارة «**سَمَاءَ السَّمَاوَاتِ**» ـ وهي ترجمة حرفية عن العبرية ـ إلى أن هناك أكثر من سماء واحدة.

أما كلمة «سَمَاءَ» في العبارة «سَمَاءَ السَّمَاوَاتِ» فتشير إلى سماء تعلو عن السماء، بمقدار ما تعلو عن الأرض!

أما في (٢كورنثوس ١٢: ٢ ـ ٤)، فإننا نجد بولس أكثر تحديداً ودقة عندما يقول:

«أَعْرِفُ إِنْسَاناً فِي الْمَسِيحِ قَبْلَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً. أَفِي الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ، أَمْ خَارِجَ الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. اللهُ يَعْلَمُ. اخْتُطِفَ هَذَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ. وَأَعْرِفُ هَذَا الإِنْسَانَ. أَفِي الْجَسَدِ أَمْ خَارِجَ الْجَسَدِ؟ لَسْتُ أَعْلَمُ. اللهُ يَعْلَمُ. أَنَّهُ اخْتُطِفَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ، وَسَمِعَ كَلِمَاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا، وَلاَ يَسُوغُ لإِنْسَانٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا.»

قبل أن أكون مُعلماً وواعظاً، كنت رجل منطق وفلسفة، ولا أستطيع أحياناً أن أبتعد عن المنطق.

ويقنعني المنطق بأن وجود سماء ثالثة يتضمن أنه توجد هناك سماءً أولى وثانية؛ فهناك ثلاث سموات على الأقل. ومن الواضح أن السماء الثالثة هى الفردوس (مكان راحة الأبرار الذين إنتقلوا)، حيث يسكن الله نفسه أيضاً.

وفي (أفسس ٤: ١٠) نقرأ عن موت يسوع وقيامته:

«اَلَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضاً فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلأَ الْكُلَّ.»

لاحظ العبارة "**جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ** All the heaven" إنها تؤكد على صيغة الجمع التي لا يمكن إستخدامها للإشارة إلى أقل من ثلاثة.

عندما كنت أُدّرس اللغة الإنجليزية لطلاب أفارقة في كينيا، قال لي أحد الطلاب:

"جـاء جميـع والدي لرؤيـتي ـ All my parents"
فقلـت له: "مـن الخطـأ أن تقـول:

"جميـع والدي ـ All my parents" لأنـه ليـس لـك أكـثر مـن والديـن إثنـين. وهـذا ينطبـق على العبـارة «جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ» ـ "All the heavens" فلابـد مـن أن هنـاك ثـلاث سـموات على الأقـل، وأعتقـد أن هـذا واضـح في مضمـون الكتـاب المقـدس بمجملـه، وهـذا يقودنـا إلى حـل مشـكلة وجـود مملكـة الشـيطان في المجـال السـماوي.

وأنـا أعتقـد بثـلاث سـموات، هـذا رأيي. وليـس عقيـدة أو تعليمـاً مبرهنـاً وراسـخاً. لكنـني أعتقـد أنـه رأي معقـول ينسـجم مـع كل حقائق كلمـة الله في الكتاب المقـدس ومـع مـا تحتويـه الكلمـة مـن إختبـارات.

فما هى هذه السموات الثلاث؟

السماء الأولى هي السماء المرئية الطبيعية، والتي تتضمن الشمس والقمر والنجوم المرئية،

أما السماء الثالثة فنعرفها من (٢كورنثوس١٢)، فهي مكان سكنى الله، إنها الفردوس حيث مكان راحة الأبرار المنتقلين (أي الراحلين)، إنها المكان الذي اختطف إليه «إنسان»، وسمع الله ينطق بكلمات لا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها.

وهكذا نجد أنفسنا أمام السماء الثانية، والتي تقع بالتأكيد بين الأولى والثالثة. وأستطيع أن أفهم أن تلك السماء الثانية هي سماء وسيطة بين السماء التي يسكن فيها الله، وبين السماء التي نستطيع رؤيتها من الأرض.

كما أعتقد أن هذه السماء الوسيطة تضم مقر الشيطان. وهذا يفسر حالة المصارعة التي كثيراً ما

نجد أنفسنا منخرطين فيها وقت الصلاة.

في بعض الأحيان، لا ندرك صعوبة إختراق ذلك الحاجز للوصول إلى الله. نحن نصلي أحياناً صلاة في مشيئة الله، ونؤمن أن الله سمعنا، لكن الإستجابة تتوانى. ويمكن أن يكون لهذه الحالة أكثر من تفسير واحد. لكن عندما يعاني من هذه المشكلة مؤمنون مخلصون ومكرسون، فالسبب الرئيسي لذلك هو إننا في حرب، فمقر مملكة الشيطان هو في موقع متوسط بين السماء المرئية وبين السماء التي يسكن فيها الله.

الفصل الثالث

معركة الملائكة

نجد في سفر دانيال مثالاً محدداً من الحرب الروحية، ويُلقي هذا المثال مزيداً من الضوء على قضية مقر مملكة الشيطان. يصف السفر معركة خاضتها الملائكة، فقد كرس دانيال نفسه للصلاة ولطلب الله من أجل إعلان يخص مستقبل شعبه. وكان ذلك التكريس وتلك الصلاة المكثفة على مدار ثلاثة أسابيع من الإنتظار. وفي نهاية الأسابيع الثلاثة، جاء ملاك من السماء يحمل إستجابة صلاة لدانيال. كان الملاك مجيداً جداً وجباراً حتى أنَّ رفاق دانيال إرتعدوا إرتعاداً عظيماً وهربوا،

فبقي دانيال وحده لكي يسمع الإعلان الإلهي. إقرأ ما يلي من (دانيال ١٠: ٢ـ ٦):

«فِي تِلْكَ الأَيَّامِ أَنَا دَانِيآلَ كُنْتُ نَائِحاً ثَلاَثَةَ أَسَابِيعِ أَيَّامٍ، لَمْ آكُلْ طَعَاماً شَهِيّاً وَلَمْ يَدْخُلْ فِي فَمِي لَحْمٌ وَلاَ خَمْرٌ، وَلَمْ أَدَّهِنْ حَتَّى تَمَّتْ ثَلاَثَةُ أَسَابِيعِ أَيَّامٍ. وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ الأَوَّلِ إِذْ كُنْتُ عَلَى جَانِبِ النَّهْرِ الْعَظِيمِ هُوَ دِجْلَةُ رَفَعْتُ وَنَظَرْتُ فَإِذَا بِرَجُلٍ لاَبِسٍ كَتَّاناً، وَحَقَوَاهُ مُتَنَطِّقَانِ بِذَهَبِ أُوفَازَ، وَجِسْمُهُ كَالزَّبَرْجَدِ، وَوَجْهُهُ كَمَنْظَرِ الْبَرْقِ، وَعَيْنَاهُ كَمِصْبَاحَيْ نَارٍ، وَذِرَاعَاهُ وَرِجْلاَهُ كَعَيْنِ النُّحَاسِ الْمَصْقُولِ، وَصَوْتُ كَلاَمِهِ كَصَوْتِ جُمْهُورٍ.»

وكما ذكرت سابقاً، لم يحتمل رفاق دانيال هذا الظهور المجيد فهربوا، ثم بدأ الملاك بمخاطبة دانيال.ومن مُجمل حديث الملاك، أريد أن أركز على

الكلمات الواردة في (دانيال١٠:١٢):

«فَقَالَ لِي: «لاَ تَخَفْ يَا دَانِيآلُ، لأَنَّهُ مِنَ الْيَوْمِ الأَوَّلِ الَّذِي فِيهِ جَعَلْتَ قَلْبَكَ لِلْفَهْمِ وَلإِذْلاَلِ نَفْسِكَ قُدَّامَ إِلَهِكَ سُمِعَ كَلاَمُكَ، وَأَنَا أَتَيْتُ لأَجْلِ كَلاَمِكَ.»

من المهم أن نعرف أن صلاة دانيال كانت قد سُمعت منذ اليوم الأول، وأن الله أرسل الملاك بالإستجابة. إلا أن الملاك لم يصل إلى الأرض إلا بعد واحد وعشرين يوماً، فما الذي أخَّره في رحلته تلك؟ لقد وقف ملاك الشيطان مقابله. كان على الملاك ـ أثناء رحلته من سماء الله إلى الأرض ـ أن يجتاز مملكة الشيطان الكائنة في «**السَّمَاوَاتِ**». وهناك واجهته بعض الملائكة الأشرار، وحاولت منعه من إختراق ذلك الحاجز والوصول إلى دانيال بالرسالة الإلهية. وفي (دانيال ١٠: ١٣) يقول:

«وَرَئِيسُ مَمْلَكَةِ فَارِسَ وَقَفَ مُقَابِلِي وَاحِداً وَعِشْرِينَ يَوْماً [لقد تعطلت رحلة الملاك واحداً وعشرين يوماً بسبب المقاومة والممانعة التي تعّرض لها في السماء الثانية]، **وَهُوَذَا مِيخَائِيلُ وَاحِدٌ مِنَ الرُّؤَسَاءِ الأَوَّلِينَ جَاءَ لإِعَانَتِي، وَأَنَا أَبْقِيتُ هُنَاكَ عِنْدَ مُلُوكِ فَارِسَ.»**

حدث ذلك كله في نطاق السَّمَوَاتِ. ويُدعى قائد ملائكة الشيطان هنا «**رَئِيسُ مَمْلَكَةِ فَارِسَ**»، إنه الحاكم الأعلى لفارس. ويبدو أن "ملوكاً" أو "ملائكة أدنى مرتبة" كانت تحت سيطرته. أما من جانب الله فقد جاء مِيخَائِيلُ ـ واحد من أعظم الملائكة وأقواها ـ لكي يساعد الملاك الأول حامل الرسالة. ونقرأ عن مِيخَائِيلُ في (دانيال ١٢: ١) ما يلي:

«وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَقُومُ مِيخَائِيلُ الرَّئِيسُ الْعَظِيمُ الْقَائِمُ لِبَنِي شَعْبِكَ،...»

أما العبارة «**الرَّئِيسُ الْعَظِيمُ**» فيمكن ترجمتها إلى العبارة «الملاك الرئيس»، وهو القائم على حراسة شعب دانيال أبناء يعقوب، لقد أقامه الله بطريقة خاصة ليكون مسئولاً عن الإهتمام بشئون شعبه القديم وحمايتهم.

ولأن هذا الإعلان الذي حمله الملاك كان يرتكز حول مستقبل الشعب، كان وصول الملاك إلى دانيال أمراً ضرورياً بالنسبة إلى الشعب. لذلك، عندما أُعيق الملاك عن الوصول، جاء ميخائيل ـ الملاك الرئيس ـ لمساعدته، فحاربا ملائكة الشيطان طوال واحد وعشرين يوماً.

كان على رأس الملائكة الشيطانية حاكم

أعلى يُـدعى رئيـس مملكـة فـارس، وتحـت إمرتـه ملـوك وحـكام وذوو رتـب وصلاحيـات مختلفـة. ربمـا كان هنـاك ملـكٌ واحـدٌ على كل مدينـة رئيسـية في الإمبراطوريـة الفارسـية، وواحـد على كل جماعـة مـن أصـل عـرقي معـين، وربمـا واحـد على كل ديـن أو بدعـة وثنيـة في الإمبراطوريـة. إنهـا صـورة لمملكـة على درجـة دقيقـة جـداً مـن التنظيـم؛ فيهـا مسـتويات متعـددة مـن النفـوذ والسـلطان، ومقرهـا في السـماويات. ثـم أنهـا مملكـة متمردين؛ مملكـة كائنـات روحيـة سـاقطة.

ويتحـدث المـلاك عـن تلـك المعركـة مجـدداً في (دانيـال ١٠: ٢٠) فيقـول لدانيـال:

«هَـلْ عَرَفْـتَ لِمَـاذَا جِئْـتُ إِلَيْـكَ؟ فَـالآنَ أَرْجِـعُ وَأُحَـارِبُ رَئِيـسَ فَـارِسَ...»

هـذا يعـني أن المعركـة ضـد رئيـس فـارس لـم تنتـه

بعد، فإذا إنتهت المعركة، بدأت أخرى، إذ يتابع الملاك في العدد السابق قائلاً:

«... **فَإِذَا خَرَجْتُ هُوَذَا رَئِيسُ الْيُونَانِ يَأْتِي.**» فإذا ما تم الإنتصار على رئيس مملكة فارس، قامت مملكة اليونان بعدها وقام الملاك الشرير الخاص بها (وهو رئيس اليونان).

وفي (ع ٢١) يقول الملاك:

«... **وَلاَ أَحَدٌ يَتَمَسَّكُ مَعِي عَلَى هَؤُلاَءِ إِلاَّ مِيخَائِيلُ رَئِيسُكُمْ**».

من هنا نرى ثانية أن الملاك الرئيس ميخائيل مرتبط بصورة مباشرة بحماية شعب الله القديم والإهتمام بمصالحهم. كما نرى أن توحيد القوى (قوة الملاك وقوة مِيخَائِيلُ) كان ضرورياً للتغلب على

الملائكة الحاكمة في مملكة الشيطان، والتي كانت تقاوم تحقيق مقاصد الله من جهة شعبه.

ربما تتساءل عن الإشارة إلى فارس واليونان. أذكِّرُك ـ عزيزي القارئ ـ بأن القدس وشعب الله القديم وقعوا تحت سيادة أربع إمبراطوريات أممية رئيسية منذ القرن الخامس قبل الميلاد فصاعداً، وهي بابل وفارس واليونان وأخيراً الإمبراطورية الرومانية (هناك أهمية خاصة لفارس واليونان في أيام دانيال لإعتبارهما من أعظم الإمبراطوريات).

نرى من هذه المقاطع التي قرأناها من دانيال أن محور المعركة كان هو شعب الله ومقاصد الله. وأعتقد أن هذا مازال صحيحاً اليوم، فحيثما يقطن شعب الله وتتحقق مقاصد الله، هناك تصل المعركة الروحية إلى أشدها.

وتقف تأثيرات دانيال شاهداً مذهلاً على فاعلية الصلاة، عندما بدأ دانيال بالصلاة على الأرض، تحركت السماء، وتدافعت ملائكة الله وملائكة الشيطان معاً في آن واحد.

هذا يعطينا فكرة رائعة في ما يمكن للصلاة القيام به. كما يثيرني أيضاً حقيقة إحتياج ملائكة الله ـ كما يبدو ـ إلى مساعدة صلوات دانيال، لكي تتمكن من إختراق الحاجز وتحقيق الإرسالية الإلهية. ومن شأن هذه الحقيقة أن تمدنا ببصيرة هائلة، ننفذ من خلالها إلى أعماق تأثير الصلاة وفعاليتها المذهلة.

الفصل الرابع

الأسلحة وساحة المعركة

ننظر الآن في ناحيتين مترابطتين تتعلقان بالحروب الروحية:

أولاً: الأسلحة التي ينبغي أن نستخدمها.

ثانياً: ساحة المعركة التي نحارب فيها.

ونجد كشفاً عن هاتين الناحيتين في تعليم بولس في (٢كورنثوس ١٠: ٣ ـ ٤) :

«لأَنَّنَا وَإِنْ كُنَّا نَسْلُكُ فِي الْجَسَدِ، لَسْنَا

حَسَبَ الْجَسَدِ نُحَارِبُ، إِذْ أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً،...».

لاحظ أن بولس يقول إننا نعيش في الجسد، وإننا نخوض حرباً، إلا أن هذه الحرب ليست في نطاق العالم الجسدي المادي. لذلك، فإن الأسلحة التي نستخدمها ليست جسدية أو مادية كالدبابات والقنابل والرصاص. وذلك لأن الحرب روحية، وتدور في العالم الروحي، مما يتطلب أسلاحة روحية أيضاً.

في (٢كورنثوس ١٠: ٤ ـ ٥) يقول بولس:

«إِذْ أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ قَادِرَةٌ بِاللهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ. هَادِمِينَ ظُنُوناً وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ».

فالمعركة في نطاق روحي، والأسلحة المناسبة لخوضها هى روحية بالضرورة. وستكون هذه الأسلحة هي موضوع دراستنا الرئيسي في الجزئين الثالث والرابع من هذا الكتاب: "أسلحة الدفاع" و "أسلحة الهجوم".

من الضروري أن نعرف أين تدور المعركة. وفي شرحه لأهداف المعركة وموقعها، يستخدم بولس عدة كلمات هي: «ظُنُون» أو "نظريات"(الترجمة التفسيرية والكاثوليكية)، «مَعْرِفَةِ»، «فِكْرٍ» أو "ذهن" (الترجمة الكاثوليكية).

لاحظ أن هذه الكلمات جميعها تتعلق بمجال محدد واحد هو مجال الذهن. من المحتم علينا أن ندرك أن الذهن هو ساحة هذه المعركة.

يشن الشيطان حرباً شاملة بهدف أسر أذهان البشر، إنه يبني حصوناً في الأذهان. ومسئوليتنا

ـ كممثلين لله ـ هي أن نستخدم أسلحتنا الروحية لتحرير أذهان البشر، مُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ، فيالها من مهمة مذهلة!.

يعمل الشيطان على بناء الحصون في أذهان البشر بإستمرار. وتقاوم هذه الحصون حق الإنجيل وحق كلمة الله، وتمنع الناس من قبول رسالة الإنجيل.

ما هي الحصون التي يشير إليها الكتاب المقدس؟

أقترح عبارتين تصفان نوعية الحصون في أذهان الناس: الأحكام المسبقة، والمفاهيم المُسبقة.

فالحكم المُسبق يتضمن أن ترفض ما ليس لك فيه رأي؛ فما لا تعرفه خطأ بالتأكيد، وما لم تفكر به أنت أولاً مرفوض وخطر. فإن كان هذا الأسلوب وارداً عند جماعة من الناس، فإنما هو وارد عند

المتدينين؛ فكل ما لم يسمعه المتدينون، ينظرون إليه بمنظار الخوف الشديد والشك الشديدين.

ومن الأمثلة الأخرى على الأحكام المسبقة ما تتضمنه هذه العبارة الساخرة: "لا تربكني بالحقائق، فلقد قررت وانتهى الأمر!"، فعندما يقرر إنسان شيئاً ما مسبقاً، لا يمكن لأي قدرٍ من الحقائق والدلائل والمنطق أن تغير فكره؛ لا يمكن إلا للأسلحة الروحية أن تهدم تلك الحصون. وينساق الناس وراء المفاهيم والأحكام المُسبقة، مما يقود في الأغلب إلى دمارهم.

فيما يلي مثال من الواقع كان له وقع خاص عليَّ، ربما لأنني من خلفية إنجليزية:

لقد حارب الإنجليز ضد الأمريكان في حرب الثورة الأمريكية، وكان المفهوم الإنجليزي عن

الحرب يتضمن اللباس العسكري الملون، والسير العسكري المنظم إلى المعركة على إيقاع الطبول. بينما كان قنَّاصون يختبئون في الأشجار والمستنقعات، ويصطادون الجنود الإنجليز بسهولة ومن دون أن يراهم أحد. وقد نعتبر هذا انتحاراً عسكرياً بمعايير اليوم، لكن الإنجليز في ذلك الوقت لم يكونوا ليستوعبوا القتال بطريقة غير التي يعرفونها. كان هذا حصناً من المفاهيم المُسبقة، وقد تسبب بمقتل آلاف الجنود الإنجليز. هذا مثال عن كيفية إنحدار الناس نحو دمارهم بسبب أحكامهم الذهنية المُسبقة.

هناك أمثلة أخرى على الأحكام المُسبقة التي تستحوذ على أذهان الناس، منها: التحزبات الدينية، والأيديولوجيات السياسية، والتحيزات العرقية. ونجد لهذه الحصون مكاناً بين المؤمنين أنفسهم.

كنت أعظ قبل مدة في جنوب أفريقيا، وقد طُلب مني أن أتحدث في موضوع الرِّيَاسَاتِ الشيطانية والحرب الروحية. وبينما كنت أتأمل في هذا الموضوع، كشف لي الرب عن هوية الروح الشرير المهيمن على جنوب أفريقيا، إنه التعصب، والمتعصب هو "الإنسان الذي يتمسك بوجهة نظر معينة أو عقيدة ما بصرف النظر عن المنطق. ويعطي تلك العقيدة، أو ذلك الرأي، أهمية كبيرة وثقلاً يتناسب معه". وكثيراً ما يكون التعصب حصناً يبنيه الشيطان في أذهان الناس.

بعد عظتي تلك، جاء أحد الخدام المولودين في جنوب أفريقيا، والذي يعرف البلد جيداً، وقال لي: "هذا أفضل وصف لمشكلة جنوب أفريقيا، لقد أفسدها التعصب وشوهها، سواء كان ذلك دينياً أو عرقياً أو طائفياً".

ويتصف أفراد الشعب في جنوب أفريقيا بروح الإبتهاج والسرور بشكل مميز، إلا إنهم مأسورون في حصن التعصب ـ ولا أقصد أن الناس في جنوب أفريقيا مختلفون عن باقي الناس، لكنهم يعانون من حصن ذي نوع وطابع خاص بهم.

نقرأ في (٢كورنثوس ٤: ٤):

«... إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ.»

الحصن هو ما يؤدي إلى عمي ذْهَنَ الإنسان، لئلا يُشرق في قلبه نور الإنجيل. وعندما يكون الإنسان في هذه الحالة، من العبث بل من الخطورة أن تلجأ معه إلى الجدال. فكلما جادلته أكثر، كلما إزداد تمسكاً بأخطائه أما الطريقة الوحيدة لتحرير

مثـل ذلـك الإنسـان، هي إسـتخدام أسـلحتنا الروحيـة لهـدم الحصـون الـتي في ذهنـه.

الفصل الخامس

أساس انتصارنا

سأشرح الآن حقيقة فريدة بالغة الأهمية ينبغي أن نعرفها جميعاً لكي نضمن إنتصارنا في حربنا الروحية، في (كولوسي ٢: ١٣ ـ ١٥)، يصف بولس ما عمله الله لنا كمؤمنين من خلال موت المسيح على الصليب من أجلنا:

«وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتاً فِي الْخَطَايَا وَغَلَفِ جَسَدِكُمْ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحاً لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا، إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدّاً لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّراً إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ، إِذْ جَرَّدَ

الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَاراً، ظَافِراً بِهِمْ فِيهِ.»

دعني أنبهك أولاً إلى أن الشيطان في غاية التصميم على منعك من إدراك هذه الحقيقة؛ إنه يريد أن يمنع كل المؤمنين من فهمها، لأنها مفتاح هزيمته. والحقيقة المهمة العظمى هى ما يلي: هزم المسيح الشيطان بالفعل؛ هزمه هو وكل قواته الشريرة، ونزع سلطانه كلياً وإلى الأبد. فإذا لم تتذكر شيئاً آخر، تذكر أن المسيح هزم الشيطان بالفعل. وقد حقق ذلك المسيح بموته وبدمه المسفوك وبقيامته الظافرة.

ولكي نفهم كيف تحقق ذلك، ينبغي أن نعرف سلاح الشيطان الأساسي ضدنا، وهو سلاح الذنب.

نقرأ في (رؤيا ١٢: ١٠) ما يلي:

«وَسَمِعْتُ صَوْتاً عَظِيماً قَائِلاً فِي السَّمَاءِ: «الآنَ صَارَ خَلاَصُ إِلَهِنَا وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ وَسُلْطَانُ مَسِيحِهِ، لأَنَّهُ قَدْ طُرِحَ الْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا الَّذِي كَانَ يَشْتَكِي عَلَيْهِمْ أَمَامَ إِلَهِنَا نَهَاراً وَلَيْلاً.»

من هو «الْمُشْتَكِي عَلَى الأخوة؟» نعلم أنه الشيطان. ولقد أشرت سابقاً على قدرة الشيطان على دخول محضر الله، وأشرت إلى أن عمله الأساسي هو أن يَشْتَكِي علينا نحن المؤمنين في يسوع.

لماذا يَشْتَكِي الشيطان علينا؟ ما هو هدفه؟ يمكن تلخيص الإجابة في عبارة بسيطة واحدة:

لكي يقودنا إلى الشعور بالذنب. فما من طريق إلى هزيمة الشيطان، مادام قادراً على بعث الشعور

بالذنب فينا. الشعور بالذنب هو مفتاح هزيمتنا، والبر مفتاح الإنتصار.

لقد تعامل الله ـ على الصليب ـ مع مشكلة الشعور بالذنب ببعديها في الماضي والمستقبل. وقد وفر الله علاجاً كاملاً يشمل هذين البعدين.

كيف تعامل الله مع الماضي؟

نقرأ في (كولوسي ٢: ١٣):

«... مُسَامِحاً لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا».

لقد صار ممكناً لنا الآن أن ننال غفران الله لجميع خطايانا السالفة، إذ أن موت المسيح كان كافياً لتتميم عدالته. نعم، مات يسوع المسيح لأجلنا نيابة عنا؛ حمل ذنوبنا ودفع أجرة خطايانا، فصار ممكناً لله أن يغفر لنا جميع ما إرتكبناه من خطايا دون أن

يتعارض ذلك مع عدالته، فأول ما ينبغي أن نفهمه هو أن خطايانا السالفة جميعها قد غُفرت بغض النظر عن كثرتها ومقدار خطورتها، وقد تم ذلك عندما وضعنا إيماننا في المسيح. ثم وفّر الله علاجاً للمستقبل أيضاً كما نرى ذلك في (كولوسي ٢: ١٤):

«إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدّاً لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّراً إِيَّاهُ بِالصَّلِيبِ».

أما «الصَّكَّ» أو "القانون المكتوب" فهو ناموس موسى. لقد أبطل يسوع ناموس موسى على الصليب؛ أبطله من جهة كونه مطلباً من متطلبات نوال البر. فلو أن ناموس موسى لا يزال مطلباً من متطلبات نوال البر، لكنا معرضين دائماً لأن نكون مذنبين أمام الله، حتى لو كسرنا أصغر

الوصايا. لكن، وبعدما أُزيح الناموس من طريقنا كمطلب للبر، وفر لنا الله المجال لكي نحيا أحراراً من الذنوب ومن الشعور بالذنب، وذلك أن إيماننا حُسب لنا براً.

نقرأ فيما بعد مقطعين مترابطين من العهد الجديد، المقطع الأول موجود في (رومية ١٠: ٤):

«لأَنَّ غَايَةَ* النَّامُوسِ هِيَ: الْمَسِيحُ لِلْبِرِّ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ.»

هذا تصريح مهم جداً. فالمسيح ليس هو "نهاية" الناموس من حيث أنه جزء من كلمة الله، أو جزءٌ من تاريخ إسرائيل، لكنه «نهاية» الناموس

* غاية: تأتي الكلمة «غاية» بمعنيين، "هدف" و "نهاية" والمعنى الأخير هو الذي يشير إليه المؤلف هنا. لمزيد من التوضيح، راجع آخر الفصل الخامس عشر من كتاب (أسس الإيمان ـ دليل المؤمن الممتلئ بالروح).

مـن حيـث كونـه مطلبـاً مـن متطلبـات تحقيـق الـبر. فـلا فـرق بـين يهـودي وأمـي، كاثوليـكي وبروتسـتانتي؛ جميعنـا غـير مطالبـين بحفـظ النامـوس لنـوال الـبر.

أما المقطع الآخر فهو في (٢كورنثوس ٥: ٢١):

«أَنَّـهُ جَعَـلَ الَّذِي لَـمْ يَعْـرِفْ خَطِيَّـةً، خَطِيَّـةً لأَجْلِنَـا، لِنَصِـيرَ نَحْـنُ بِـرَّ اللهِ فِيـهِ.»

هـذه هي المبادلـة الإلهيـة: صـار يسـوع خطيـة بسـبب خطيتنـا، لنصـير نحـن أبـراراً بـبره. فـإن تمسـكنا بهـذه الحقيقـة (إننـا أبـرار بـبر المسـيح)، لا يعـود إبليـس قـادراً على ربطنـا بالشـعور بالذنـب فيمـا بعـد. وهكـذا يتجـرد الشـيطان مـن سـلاحه الرئيسـي. نعـم، جَـرَّدَ يسـوع بموتـه الرِّيَاسَـاتِ وَالسَّـلاَطِينَ الروحيـة؛ لقـد نـزع سـلاحها الأسـاسي ضدنـا.

والآن أريد أن أوضح لك كيف يتحقق إنتصار المسيح من خلالنا. لقد سبق لنا ورأينا التصريح بإنتصار المسيح في (كولوسي ٢: ١٥):

«إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَاراً، ظَافِراً بِهِمْ فِيهِ.» {وتلقى الترجمة التالية مزيداً من الضوء على الصورة التي تتضمنها هذه الكلمات: «وجرد الرياسات والسلاطين، وأشهرهم إذ سيرهم في موكبه »ترجمة فاخوري البولسي}.

فالظفر هنا ليس هو أن يسوع قد كسب المعركة لنفسه، بل هو إحتفال وإظهار للنصر. فبموته على الصليب، أظهر يسوع للكون كله أنه إنتصر على مملكة الشيطان. لكن يسوع لم يكسب هذا الأنتصار لنفسه، لأنه لا يحتاج إليه. فخطة الله تتضمن أن يُعلن هذا الأنتصار وأن يظهر من خلالنا نحن.

في (٢كورنثوس ٢: ١٤) (وهو من أحب الأعداد الكتابية إليَّ) يقول بولس:

«وَلَكِنْ شُكْراً لِلّٰهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ، وَيُظْهِرُ بِنَا رَائِحَةَ مَعْرِفَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.»

ولا عجب في أن يقول بولس: «شُكْراً لِلّٰهِ». فلا يمكنك إلا أن تشكر الله لو أدركت الرسالة التي تتضمنها كلمات (٢كورنثوس ٢: ١٤). إنها تعني أن الله يسمح لنا بإستمرار أن نشترك في غلبة المسيح على مملكة الشيطان. وأمامنا هنا عبارتان شاملتان: « كُلَّ حِينٍ»، و « فِي كُلِّ مَكَانٍ.»، فليس هناك زمان أو مكان لا نستطيع فيه أن نشترك مع المسيح فعلياً في غلبته على مملكة الشيطان.

والآن إلى (متى ٢٨: ١٨ ـ ٢٠) حيث يعلن المسيح قائلاً:

«فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ، فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ، وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ. آمِينَ».

يقول يسوع إنه إنتزع السلطان من الشيطان بموته على الصليب، وقد دفع إليه الآب كل سلطان في السماء وعلى الأرض.

ثم يقول: **«فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ...».**

ما هي دلالة حرف الفاء في الكلمة «فَاذْهَبُوا»؟ يقول يسوع: "لقد كسبت أنا السلطان، فإذهبوا وأستخدموه؛ إذهبوا وأظهروا إنتصاري هذا للعالم كله، وذلك بأن تتمموا إرساليتي".

أود الآن أن أوضح ثلاث حقائق بخصوص إنتصار يسوع:

أولاً: هَزم يسوع الشيطان عندما جربه في البرية؛ هزمه بالنيابة عن نفسه، إذ واجهه وقاوم تجربته وغلبه.

ثانياً: هَزم يسوع الشيطان على الصليب نيابة عنا، لا من أجله هو؛ لم يكن هو محتاجاً إلى ذلك الإنتصار لأنه كان منتصراً أصلاً، لكنه إنتصر بالنيابة عنا وهزم عدونا، لقد جرده من السلاح والسلطان، وشهر به في موكب إنتصار علني، وكل هذا من أجلنا.

ثالثاً: مسئوليتنا الآن هي تفعيل إنتصار يسوع و إظهاره.

في (٢كورنثوس ٢: ١٤) يقول:

«وَلَكِنْ شُكْراً لِلّٰهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ، وَيُظْهِرُ بِنَا رَائِحَةَ مَعْرِفَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.»

تذكر، لقد جعل المسيح هذا الإنتصار في متناولنا «كُلَّ حِينٍ» و «فِي كُلِّ مَكَانٍ».

الجزء الثاني

أسلحة الدفاع

الفصل السادس

سلاح اللّه الكامل

كنت قد بينت سابقاً إننا ـ كممثلين لملكوت الله ـ نجد أنفسنا منخرطين في حرب شاملة ضد مملكة الشيطان المنظمة، وهي مملكة تتكون من كائنات روحية شريرة بلا أجساد مقرها في السماء الثانية.

أما ساحة هذه المعركة فهي الذهن البشري؛ حيث يبني الشيطان حصون الشك والأحكام المُسبقة لكي يمنع الإنسان من قبول حق الإنجيل. وقد أوكل الله إلينا مهمة تحطيم وهدم هذه الحصون

الذهنية، وهذا يتضمن تحرير الناس من خداع الشيطان، وقيادتهم ـ بعد ذلك ـ إلى طاعة المسيح والخضوع له. لكن قدرتنا على إنجاز هذه المهمة تتوقف على عاملين أساسيين:

أولاً: أن ندرك الحقيقة التي تُعلنها كلمة الله، وهي أن يسوع غلب الشيطان على الصليب نيابة عنا. وأن مسئوليتنا الآن هى أن نُفعّل ذلك الإنتصار الذي حققه يسوع وأن نُظهره.

ثانياً: أن نستخدم الأسلحة الروحية الضرورية التي وفرها الله لنا. وتنحصر هذه الأسلحة الروحية في قائمتين رئيستين: أسلحة الدفاع، وأسلحة الهجوم.

وسوف نتحدث في هذا الجزء من الكتاب عن القائمة الأولى وهى (أسلحة الدفاع).

ونعتمد في دراستنا هذه على (أفسس ٦: ١٠ ـ ١٧):

«أَخِيراً يَا إِخْوَتِي تَقَوُّوا فِي الرَّبِّ وَفِي شِدَّةِ قُوَّتِهِ. الْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ. فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ، عَلَى ظُلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ احْمِلُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تُقَاوِمُوا فِي الْيَوْمِ الشِّرِّيرِ، وَبَعْدَ أَنْ تُتَمِّمُوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَثْبُتُوا. فَاثْبُتُوا مُمَنْطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ، وَلاَبِسِينَ دِرْعَ الْبِرِّ، وَحَاذِينَ أَرْجُلَكُمْ بِاسْتِعْدَادِ إِنْجِيلِ السَّلاَمِ. حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ تُرْسَ الإِيمَانِ، الَّذِي بِهِ تَقْدِرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سِهَامِ الشِّرِّيرِ الْمُلْتَهِبَةِ. وَخُذُوا خُوذَةَ الْخَلاَصِ، وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ.»

في (ع١٣) من هذا النص يقول بولس: « **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ احْمِلُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ...**» فنحن مدعوون إلى حمل سلاح الله الكامل. وعندما نقرأ في الكتاب المقدس عبارة مثل «**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ...**»، ينبغي أن نعرف ما هو «ذَلِكَ» الذي يتحدث عنه. و«ذَلِكَ» في هذا النص تعود على (ع١٢) حيث يقول بولس:

«**... مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ، عَلَى ظُلْمَةِ هَذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ.**»

فلأننا منخرطون في هذا الصراع الحاسم مع قوى الشر الروحية في مملكة الشيطان، فمن واجبنا أن نلبس سلاح الله الكامل، وهذا ما تطالبنا به كلمة الله. ومن المثير للإنتباه أن يكرر بولس هذه الدعوة مرتين في فقرة واحدة، فيقول في كل من

العدديـن (١١، ١٣): «**الْبَسُـوا** (أو احملـوا) **سِـلاَحَ اللهِ الْكَامِـلَ**». مـن الواضـح والمؤكـد أن كلمـة الله تحثنـا على حمايـة أنفسـنا بواسـطة سِـلاَحَ اللهِ الْكَامِـلَ.

ويقـدم بولـس في (ع١٣) سـبباً آخـر لحمـل سـلاح الله:

«**... لِـكَيْ تَقْـدِرُوا أَنْ تُقَاوِمُـوا فِي الْيَـوْمِ الشِّرِّيـرِ، وَبَعْـدَ أَنْ تُتَمِّمُـوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَثْبُتُـوا.**»

لاحـظ عبـارة «**الْيَـوْمِ الشِّرِّيـرِ**». ولا أعتقـد أن في هـذا إشـارة إلى الضيقة العظيمـة أو إلى نبـوة بكارثة آتيـة على العالم (مـع إنني أعتقد بإمكانيـة وقوع بعض الكـوارث). لكنـني أرى أن المقصود بـ «الْيَـوْمِ الشِّرِّيرِ» هـو تجربـة سـيواجهها كل مؤمن. إنـه وقـت ينبغي فيه أن نواجـه قـوات الـشر، وقـت يُمتحـن فيـه إيمان كل واحـد، وتطلق ضـده كل أشـكال وأنـواع المعارضات.

لا يشكك بولس في حقيقة حاجتنا إلى مواجهة الْيَوْمِ الشِّرِّيرِ، فليس هناك خيار في ذلك، بل هو أمر مُحتم. وكثيراً ما أفكر بمَثَل يسوع الذي يصف فيه رجلين: الجاهل الذي بني بيته على الرمل، والعاقل الذي بني بيته على الصخر، فسقط بيت الجاهل وثبُتَ بيت العاقل. ولم يكن الفرق يكمن في الصعوبات التي تعرض لها البيتان، فكلاهما تعرض إلى الإمتحان نفسه: الرياح والمطر والعواصف والأمطار. لكن الفرق كان يكمن في الأساس الذي بنى عليه كلاً منهما، أنظر (متى ٧: ٢٤ ـ ٢٧).

لا تشير كلمة الله من بعيدٍ أو قريب إلى إننا كمؤمنين لن نتعرض إلى الإمتحان؛ لابد أن نواجه «الْيَوْمِ الشِّرِّيرِ». لذلك، ينبغي أن نكون مستعدين لإجتيازه. وعلى ضوء هذه الحقيقة يقول بولس: «**احْمِلُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ.**»

يستعير بولس هذه الصورة من زِي الجيش الروماني الذي عاصره، فيذكر ست قطع من العتاد التي كان يلبسها الجندي الروماني عادةً، فيما يلي قائمة بولس:

أولاً: مِنطَقة الحق.

ثانياً: درع البرّ.

ثالثاً: حذاء استعداد الإنجيل.

رابعاً: ترس الإيمان.

خامساً: خوذة الخلاص.

سادساً: سيف الروح.

حين تتأمل في هذه الأسلحة، تُدرك أن حَمْلها جميعاً يؤمِّن لك الحماية من أعلى رأسك إلى أخمص قدميك، مع استثناء واحد! إنه لا توجد حماية لظهرك! وسنغطي هذه النقطة في نهاية هذا الجزء.

الفصل السابع

مِنطقَة الحـق

أول الأسـلحة هـو مِنطقَـة الحـق، فلمـاذا يحتـاج الجنـدي الرومـاني إلى المنطقـة كجـزء مـن سـلاحه؟ تذكـر، أن ملابـس الرجـال والنسـاء في ذلـك الوقـت كانـت عبـارة عـن أثـواب طويلـة مرخيـة تصـل إلى الركبتـين على الأقـل. أمـا الجنـدي الرومـاني فـكان يلبـس التُنِـك (Tunic) وهـو رداء طويـل يمكن شـده بحـزام حـول الخـصر، فعندمـا كان الجنـدي الرومـاني يُكلَّـف بمهمـة تتطلـب النشـاط والحركـة، كالقتـال أو إسـتخدام السـلاح لأمـرٍ مـا، كان عليـه أن يجـد حـلاً لردائـه الطويـل المُنسـدل. فـإن لـم يفعـل، أعاقـت

أطـراف الـرداء حركتـه، ومنعتـه مـن إسـتخدام سـلاحه بفعاليـة.

فـأول مـا ينبـغي أن يفعلـه الجنـدي هـو أن يشـد المِنطقَـة حـول خـصره بطريقـة تمنـع رداءه مـن الحركـة السـائبة، فـلا يعيـق حركتـه بعـد ذلـك. كان هـذا إجـراءً ضروريـاً وأساسـاً لـكل خطـوة تليـه. لذلـك يذكـر بولـس مِنطَقـة الحـق قبـل أي شيء آخـر.

وكثـيراً مـا يتحـدث الكتـاب المقـدس عـن الرجـل الذي "يمنطـق حقويـه"، فمـا الذي تعنيـه هـذه العبـارة؟

يقـول بولـس إن الحق هـو المِنطَقـة بالنسـبة لنا، ولا أعتقـد أن المقصـود بالحـق هنـا هـو الحقائـق اللاهوتيـة، بـل هو الحـق في سـلوكنا اليـومي، وذلـك يتضمـن الصدق والأمانـة والإخـلاص والإنفتـاح والصراحة.

كثيراً ما نُثقل كواهلنا بالخجل والرياء بسبب ميلنا إلى التدين، نقول ما لا نعني، لكننا نقوله على أية حال لأنه يُعطي إنطباعاً حسناً. إننا مملئون بالأكليشيهات (وتعني هنا الصيغ الكلامية الجاهزة) الدينية غير المخلصة. نفعل الكثير لا لأنه يرضي الله أو لأننا نريد أن نفعله حقاً، لكن لأنه يرضي الآخرين. ولكل جماعة متدينة أكليشيهاتها الخاصة، كأن تقول: "يسوع سيساعدك يا أخي". ولا يكون هذا أحياناً إلا محاولة للتملص، إذ تكون الحاجة إلى أن تساعد أنت أخاك لا أن يساعده يسوع.

ويشبه هذا النوع من الكلام الديني رداءً سائباً أي فضفاضاً يعيق حركتنا، ويمنعنا من تحقيق ما يطلبه الله. إنه يعيقنا عن أن نكون مؤمنين نشيطين فعالين كما يعيقنا عن إستخدام أسلحتنا الأخرى.

إذاً، نحن مطالبون أول كل شيء أن نلبس مِنطَقة الحق؛ ينبغي أن نتخلص من الخجل والرياء، مترفعين عن الأكليشيهات الدينية وعن الأقوال والأفعال التي لا نعنيها.

وكثيراً ما يكون الحق مؤلماً. ينبغي أن يرى الناس أي نوع من المؤمنين أنت. ربما كنت تختبئ خلف حاجز من التدين كل الوقت، والآن أنت في مواجهة الحاجة الملحة إلى الحق الفعلي والإنفتاح والصراحة.

ينبغي أن تضع المِنطَقة وتشدها جيداً حول خصرك، فلا تعود أطراف الرداء، من الخجل والتدين الكاذب متدلية حولك، معيقة إياك عن السير في طريق إرادة الله.

الفصل الثامن

دِرع البر

الدرع في اللباس العسكري الروماني، يعمل ـ أولاً وقبل كل شيء على حماية عضو فائق الأهمية في جسم الإنسان، ألا وهو القلب. ويشير الكتاب المقدس إلى ما يحظى به القلب من أهمية فائقة في حياتنا كما تؤكد كلمات سليمان في (أمثال ٤: ٢٣):

«فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ.»

عملت مُعلماً في كينيا (في شرق أفريقيا) مدة خمس سنوات، تعرفت خلالها على عدد من

القبائل وتعلمت شيئاً من لغاتهم. ويوماً ما، رأيت على حائط في مبنى سكن الطلاب كلمات (أمثال ٤: ٢٣) مكتوبة بلغة الماراجوليا، فترجمتها لنفسي حرفياً، وأتذكر تلك الترجمة منذ ذلك الحين. "أحرس قلبك بكل قوتك، لأن كل ما في الحياة من أشياء ينبع منه."

ما في قلبك يحدد في النهاية مسار حياتك، خيراً كان ذلك المسار أم شراً. فمن الضروري جداً أن نحفظ قلوبنا ونحميها من كل أنواع الشر. ويتحدث بولس عن درع البر لحماية القلب.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: "ما المقصود بالبر في هذا السياق؟"، والواقع أن بولس يتحدث عن الدرع في رسالة أخرى، حيث يقول في (١تسالونيكي ٥: ٨):

«وَأَمَّا نَحْنُ الَّذِينَ مِنْ نَهَارٍ، فَلْنَصْحُ لاَبِسِينَ دِرْعَ الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ،...»

يصف بولس الدرع هنا من وجهة نظر أخرى؛ إنه يدعوه «**دِرْعَ الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ**». وبوضع هاتين التسميتين معاً:

في (أفسس ٦: ١٤) يقول بولس «درع البرّ»

وفي (١تسالونيكي ٥: ٨) يقول «درع الإيمان والمحبة».

نفهم نوعية البر الذي يقصده بولس، إنه ليس بر الأعمال، أو بر أي ناموس أو شريعة دينية، بل هو البر الذي يتحقق بالإيمان فقط.

كما يتحدث بولس عن هذا النوع من البر في (فيلبي ٣: ٩) أيضاً فيقول:

«وَأُوجَدَ فِيهِ (أي في المسيح)، وَلَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ، الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللهِ بِالإِيمَانِ.»

يضع الرسول بولس هنا نوعين من البر معاً، يتحدث أولاً عن بره الشخصي الذي في الناموس، ويؤكد عدم كفاية ذلك البر. وكبديل، يذكر بولس البر الذي من الله، والذي يتحقق بناء على الإيمان. هذا هو البر الذي يقصده عندما يتحدث عن درع البر الذي يحمي القلب.

إن كنا نلبس درعاً من برنا الشخصي، فإن قلوبنا تكون عرضة للدمار أمام هجمات الشيطان الذي يجد نقاط ضعفٍ كثيرة في ذلك النوع من البر، فينفذ منها إلى القلب. والحل هو أن نضع درعاً من بر المسيح لا من برنا الشخصي.

نقرأ في (٢كورنثوس ٥: ٢١):

«**لأَنَّـهُ** (أي الله) **جَعَـلَ الَّذِي لَـمْ يَعْـرِفْ خَطِيَّـةً** (أي يسـوع)، **خَطِيَّـةً لأَجْلِنَـا، لِنَصِـيرَ نَحْـنُ بِـرَّ اللهِ فِيـهِ** (أي في المسـيح)».

ينبـغي أن نؤمـن، بنـاء على إعـلان كلمـة الله، أننـا صرنـا بـر الله «أي صرنـا أبـراراً عنـد الله (الترجمـة العربيـة الجديـدة المشـتركة)». هـذا هـو الدرع الوحيـد القـادر على حمايـة قلوبنـا وحياتنـا بطريقـة فعَّالـة.

ولا يـأتي هـذا النـوع مـن البر الذي يركـز عليـه بولـس إلا بالإيمـان؛ لذلـك، هـو درع الإيمـان والمحبـة. ولا مجـال لتحقيـق هـذا البر بأيـة طريقـة أخـرى.

نـأتي الآن إلى صـلاة يسـوع مـن أجـل بطـرس في الليلـة الـتي سـبقت الصلـب، وكـم تؤثـر هـذه الصـلاة

فيَ وتُحرك أعماقي دائماً، فعندما حذر يسوع بطرس من أنه سينكره في تلك الليلة، نجد في سياق ذلك التحذير قوله لبطرس في (لوقا ٢٢: ٣٢):

«...**وَلَكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ...**». لم يُصلي يسوع بهدف منع بطرس من خيانته، لكنه صلى صلاة مختلفة، وهي الطلبة الوحيدة التي يمكن أن تكون عوناً لبطرس. قال يسوع في (لوقا ٢٢: ٣١ ـ ٣٢):

«**وَقَالَ الرَّبُّ: «سِمْعَانُ سِمْعَانُ، هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ! وَلَكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ...**»

لاحظ العبارة: «**لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ.**»، فرغم أن بطرس كان في طريقه إلى إنكار يسوع مُظهراً كم هو ضعيف وجبان، إلا أنه مازال ممكناً إسترجاع كل شيء لكي لا يفنى إيمان بطرس. هذا هو درع

الإيمـان والمحبـة، فالإيمـان عنـصر ضروري جـداً في هـذا الدرع.

ولا يعمـل هـذا النـوع مـن الإيمـان الذي نبحـث فيـه إلا مـن خـلال المحبـة. يقـول بولـس فـي (غلاطيـة ٥: ٦):

«لأَنَّـهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُـوعَ لاَ الْخِتَـانُ يَنْفَـعُ شَـيْئاً وَلاَ الْغُرْلَـةُ، بَـلِ الإِيمَـانُ الْعَامِـلُ بِالْمَحَبَّـةِ.»

وكمـا أفهـم، فـإن بولـس يقصـد أن يقـول: "لا كفايـة في مراسـيم أو في طقـوس خارجيـة، فالإيمـان هـو الأهـم، والذي بدونـه لا نجـاح لنـا في الحيـاة".

والإيمـان المطلـوب هـو ذاك الذي يعمـل مـن خـلال المحبـة، فليـس هـو إيمـان نظـري جامـد، بـل إيمـان فعـال يعمـل بالمحبـة فقـط».

وكلما تأملت في المحبة أكثر، بهرتني قوتها التي لا تُقاوم. وكم أحب كلمات الوحي في (نشيد الأنشاد ٨: ٦ ـ ٧) حيث يقول:

«اِجْعَلْنِي كَخَاتِمٍ عَلَى قَلْبِكَ، كَخَاتِمٍ عَلَى سَاعِدِكَ، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ قَوِيَّةٌ كَالْمَوْتِ. الْغَيْرَةُ قَاسِيَةٌ كَالْهَاوِيَةِ، لَهِيبُهَا لَهِيبُ نَارٍ لَظَى الرَّبِّ. مِيَاهٌ كَثِيرَةٌ لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْفِئَ الْمَحَبَّةَ، وَالسُّيُولُ لاَ تَغْمُرُهَا...»

فكر في هذه العبارة، «الْمَحَبَّةَ قَوِيَّةٌ كَالْمَوْتِ»؛ الموت لا يُقاوَم، وله مع كل واحد منا لقاء، لا يمكن لأي منا أن يقاوم الموت عندما يأتي، ولا مجال لتجنبه. وتقول كلمة الله إن المحبة قوية قوة الموت نفسه.

فَكر في هذه الحقيقة، المحبة لا تُقاوَم، تنتصر دائماً، لا يمكن هزيمتها. وتحمينا المحبة من كل

القوى السلبية كالحقد والغضب وعدم الغفران والمرارة والفشل واليأس، الأمور التي من شأنها أن تفسد القلب وتُخرِّب الحياة. تذكر: "كل ما في الحياة من أشياء ينبع من القلب".

ويصف بولس هذا النوع من المحبة في (١كورنثوس ١٣: ٤ ـ ٨):

«اَلْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ. اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ، وَلاَ تَنْتَفِخُ، وَلاَ تُقَبِّحُ، وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلاَ تَحْتَدُّ، وَلاَ تَظُنُّ السُّوءَ، وَلاَ تَفْرَحُ بِالإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ. وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَداً.»

هذا هو الدرع الذي نحتاج إليه، درع لا يسقط أبداً. نحتاج إلى درع ليس فيه نقاط ضعف يخترقها

الشيطان. وما يقوله بولس هنا يتوافق تماماً مع صورة الدرع؛ فالمحبة «**تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.**» " وتأتي هذه الكلمات في ترجمة أخرى كما يلي: تحمي دائماً، تثق دائماً، ترجو دائماً، تحفظ دائماً(NIV)" فعندما تحمل درع الإيمان العامل بالمحبة، يحميك دائماً (إذ يحتمل كل ضربات العدو)، ويحفظ قلبك من كل هجوم شيطاني، يحاول به الشيطان إختراق ذلك الجانب المهم من حياتك.

الفصل التاسع

حذاء إستعداد الإنجيل

كانت الأحذية التي يرتديها الجنود الرومان قوية ومتينة، ولها سيور خاصة تشدها وتثبتها. وكانت تُربط إلى أعلى حتى منتصف عضلة الساق (ما بين الكعب والركبة) بأربطة جلدية. كان الحذاء من أهم أجزاء ملابس الجندي الروماني، لأنه يساعده على السير مسافات طويلة بسرعة. وهذا الأمر يمنحه القدرة على الحركة، ويجعله جاهزاً ليكون في المكان والزمان المناسبين حسب أوامر القائد . فكر في الحذاء على إنه وسيلة للتنقل لتحقيق الهجوم

والسرعة في الحركة والإستعداد لتنفيذ تعليمات قائدك، الرب يسوع المسيح.

لقد تعلمت معنى ذلك عملياً من تجربتي الشخصية: فلمدة عامين، خلال الحرب العالمية الثانية، عملت في وحدة طبية تابعة للجيش البريطاني في صحراء شمال أفريقيا. جاءت أوقات كنا نعمل فيها مع فرقة المدرعات، وكنا قريبين جداً من خطوط العدو، وكنا نعمل في الليل أحياناً، ومن الصعب أن تحدد تماماً إتجاه خطوط العدو في الصحراء. وذلك لأن الحرب كانت نشطة وغير مستقرة. في مثل تلك الحالة، كان الضابط المسئول يصدر أوامر لنا بعدم خلع الأحذية العسكرية ليلاً، فكان علينا أن ننام وأحذيتنا في أقدامنا. والسبب واضح بالطبع، فعندما تصحو من نوم عميق، لا تكون في أفضل أحوالك، فإن كنت قد

خلعت حذاءك، وكان الوضع مربكاً ومضطرباً من حولك، فإنك تضيع بضع دقائق ثمينة جداً وأنت تبحث عن الحذاء ثم تحاول أن تضعه في قدمك وأن تشد سيوره. أما إن كنت مرتدياً حذاءك أصلاً، فأنت في حالة إستعداد. المفتاح إذاً هو الإستعداد و سرعة الحركة.

وهذا صحيح أيضاً بالنسبة إلى الأسلحة الروحية المناظرة والتي يتحدث عنها بولس. ويُسمي بولس الحذاء في (أفسس ٦: ١٥):

«...وَحَاذِينَ أَرْجُلَكُمْ بِاسْتِعْدَادِ إِنْجِيلِ السَّلاَمِ...»

حذاء إستعداد الإنجيل وهي تسمية تتضمن أن نكون جاهزين لأمر ما. علينا كمؤمنين أن نلتزم ونتمتع بفهم وإدراك لما في الإنجيل. يقول الكثيرين من المسيحيين إنهم مخلصون ومولودون

من جديد، لكنهم لا يستطيعون أن يشرحوا بطريقة مفهومة كيفية حصولهم على الخلاص، أو كيف يمكن لآخرين أن يقبلوا الخلاص. وأنا أعتقد أن "الإستعداد" هنا يتضمن دراسة كلمة الله وحفظها والقدرة على توصيل رسالة الإنجيل إلى الآخرين بطريقة منطقية مفهومة. لاحظ أيضاً أن بولس يقول: "حذاء استعداد إنجيل السلام" فالإنجيل يُعطي السلام في قلب وذهن من يؤمن به ويطيعه.

هناك شيء واحد مؤكد جداً بشأن السلام: لا يمكن نقل السلام إلى الآخرين، إلا إذا كنا نتمتع به أولاً، لا نستطيع نقل شيء لم نختبره. ربما نستطيع أن نتحدث عنه، أن نفكر فيه، لكننا لا نستطيع أن ننقله إلى الآخرين.

فيما يلي مقطع مهم جداً من (متى ١٠: ١٢ـ ١٣)،

حيث أعطى يسوع تعليماته للتلاميذ الذين أرسلهم في المرة الأولى للكرازة بالإنجيل، وهذا بعض ما قاله:

«وَحِينَ تَدْخُلُونَ الْبَيْتَ سَلِّمُوا عَلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ مُسْتَحِقّاً فَلْيَأْتِ سَلاَمُكُمْ عَلَيْهِ. وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقّاً فَلْيَرْجِعْ سَلاَمُكُمْ إِلَيْكُمْ.»

لاحظ هذه العبارة الهامة: **«فَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ مُسْتَحِقّاً فَلْيَأْتِ سَلاَمُكُمْ عَلَيْهِ.»**، أي أن تنقل هذا السلام إلى البيت. فهل تتمتع بسلام لتنقله عندما تدخل بيتاً ما؟ إذاً لا يمكنك أن تنقل شيئاً ما إذا كنت لا تتمتع به أنت نفسك.

دعني أعطيك مثالاً: لنفترض إنكِ سيدة تشتري بعض الحاجيات من السوق، وها أنتِ تقفين في طابور الخروج بإنتظار دفع الحساب، وها سيدة أخرى تقف إلى جانبك، ويبدو واضحاً

عليها إنها على وشك الإنهيار العصبي، إنها متوترة وعصبية جداً. ثم يقودِك الرب إلى مساعدتها، فماذا تفعلين؟ هل تقولين لها: "لماذا لا تأتي إلى إجتماع صباح الأحد؟" هل هذا يسُد إحتياجها؟! إذا كان هذا كل ما بحوزتِك، فأنت بلا حذاء!

أن تحذي رِجلكِ بإستعداد إنجيل السلام يعني أن تكوني مستعدة لعمل الشيء المناسب في الوقت والمكان المناسبين، وذلك عندما يرشدكِ الله إلى ذلك.

فأول كل شيء ينبغي أن يكون لديك أنتِ سلام، ومن ثمّ ينبغي أن تشعر تلك السيدة أنكِ تملكين شيئاً لا تمتلكه هى، بل تحتاج إليه إحتياجاً شديداً. نعم، يستطيع الناس أن يشعروا بالسلام الذي يتمتع به الآخرون.

وعندما تحاول تلك السيدة أن تنعم بالسلام،

ينبغي أن تكوني قادرة على قيادتها إلى الطريق الذي تجد فيه السلام، وذلك بكلمات بسيطة ولغة غير مملوءة بالألفاظ الدينية، ينبغي أن تكوني قادرة على تقديم رسالة الإنجيل إليها. هذا هو "حذاء إستعداد إنجيل السلام".

الفصل العاشر

تُـرس الإيمـان

في اللغـة اليونانيـة المسـتخدمة في العهـد الجديـد، هنـاك كلمتـان تشـيران إلى الـترس:

الأولى: تعـني تِرسـاً صغـيراً دائريـاً، وهـذا يشـبه سـلة مـن الخـوص المجـدول المسـطح.

أمـا الثانيـة تعـني تُرسـاً مسـتطيل الشـكل، وهي كلمـة مشـتقة مـن أصـل الكلمـة اليونانيـة الـتي تعـني «بـاب» لأن هـذا الـتُرس يشـبه نـوعاً مـا البـاب. وهـذا النـوع الثـاني هـو الذي يقصـده بولـس عندمـا يقـول في (أفسـس ٦: ١٦): «**... تُـرْسَ الإِيمَـانِ...**»

يستخدم الجندي الروماني المُدرّب هذا التُرس لكي يكون جسمه كله محمياً من سهام العدو. وهذا التُرس يحميه حماية كاملة. هذا هو الإيمان الذي يقصده بولس وأشار إليه بالتُرس.

عندما نخرج للحرب ضد الشيطان ونضايقه، تأكد أنه سيهجم هجوماً مضاداً، فسيهاجم أذهاننا وقلوبنا وأجسادنا وأمورنا المالية، لذلك نحتاج إلى تُرس يغطينا. ويهاجم الشيطان أية منطقة يمكن الوصول إليها، فإن لم يتمكن من مهاجمتنا، فسوف يهاجم الأشخاص الأقرب إلينا. إن كنت متزوجاً فإن الشيطان يهاجم زوجتك أولاً، فهذه طريقة مضمونة يستطيع بها أن يصل إليك. لذلك ينبغي أن تمتلك تُرساً كبيراً يكفي لحماية كل الجوانب التي وضع الله مسئوليتها على عاتقك. ويتضمن ذلك نفسك وعائلتك وكل ما أوكلك الله

عليه. لقد تعلمت هذا الدرس يوماً من الأيام بصورة مثيرة وفعَّالة.

كنت أتعامل يوماً مع سيدة تسيطر عليها روح إنتحار، وقد إختبرت تحريراً واضحاً ومُذهلاً وعرفت أنها تحررت بالفعل، فشكرنا الله وسبحناه معاً. وفي اليوم التالي، رجعت هذه السيدة وقصت عليَّ حادثة مدهشة؛ قالت: "إنه في الوقت الذي تحررت فيه، كان زوجها يقود شاحنة نقل صغيرة مفتوحة من الخلف على الطريق السريع، وكان كلبهم الألماني يجلس في الخلف كعادته دائماً. وفجأة، وبلا سبب، قفز الكلب من خلف الشاحنة في حين أن الشاحنة كانت تسير بسرعة عالية وقُتل للوقت".

وبينما هي تخبرني بذلك، أدركت أن روح الإنتحار التي تركت السيدة قد إنتقلت إلى الكلب، إن

الشيطان هاجم أقرب منفذ تمكن من الوصول إليه. لقد تعلمت درساً أثق بأنني لن أحتاج إلى أن أتعلمه ثانية. وحينما أصلي مع أحدهم لأجل التحرير، أُعلن دائماً حماية الإيمان في دم يسوع على كل الأشياء التي له صلة به. ولم تتكرر مثل تلك الحادثة معي بعد ذلك. لقد تعلمت من هذا أهمية تُرس الإيمان بإعتباره تُرساً كبيراً يشبه الباب ويحمي كل ما وضعه الله تحت وكالتنا.

يُذكر الإيمان مرتين في قائمة الأسلحة الروحية المذكورة في (أفسس ٦: ١٤، ١٦):

«...وَلاَبِسِينَ دِرْعَ الْبِرِّ،» و «حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ تُرْسَ الإِيمَانِ،...»

فالدرع هو دِرْعَ الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ، المذكور في (١تسالونيكي ٥: ٨)

والتُرس هو تُرْسَ الإِيمَانِ، المذكور في (أفسس ٦: ١٦).

وينبغي أن نفهم الفرق في إستخدام كلمة «الإِيمَانِ» في كل حالة من الحالتين. فالدرع هو الإيمان الخاص بالبر الذي ننناله شخصياً، أما التُرس فهو الإيمان من أجل حمايتنا وحماية كل الذين وضعهم الله تحت مسئوليتنا، فالتُرس يغطي كل شيء.

لقد تعلمت هذه الحقيقة بطريقة واضحة في بداية خدمتي الإذاعية. فعندما بدأت الخدمة في الإنطلاق، لاحظت أن أموراً كثيرة بدأت تحدث بصورة غريبة في آن واحد. بعضها في المكتب وبعضها في وحدة الإنتاج، بعض المعدات تعطلت وكان من المفترض إنها تعمل بشكل جيد، مرض بعض الموظفين، ذهبت الرسائل في طريق خطأ، وهكذا عَمَّتْ الفوضى. فكان الشيطان يشن هجوماً

، ولما لم يتمكن من الوصول إليَّ مباشرةً، بدأ في توجيه هجومه إلى أولئك الذين أعتمد عليهم في تدعيم خدمتي.

فرفعت تُرس الإيمان، وإنتهرت قوة الفوضى، فعاد السلام والنظام من جديد. نعم، لقد تعلمت درساً جديداً. ينبغي أن نرفع تُرس الإيمان من أجل التمتع بحماية الله الكاملة.

الفصل الحادي عشر

خُـوذة الخلاص

قطعـة السـلاح الخامسـة هي خـوذة الخـلاص. وسـوف أشـارك معكـم ببعـض الحقائـق الثمينـة الـتي تعلمتهـا مـن صراعاتي الشـخصية حـول هـذا الموضـوع.

عندمـا أتذكـر تلـك الـصراعات أتذكـر كلمـات بولـس في (رومية ٨: ٣٧) حيـث يقـول بولـس:

«**وَلَكِنَّنَـا فِي هَـذِهِ جَمِيعِهَـا يَعْظُـمُ انْتِصَارُنَـا بِـالَّذِي أَحَبَّنَـا.**» وفي الترجمـة التفسـيرية "كتـاب الحيـاة" يقـول: "...ولكننـا، في جميـع الأمـور، نحـرز مـا يفـوق الإنتصـار على يـد مـن أحبنـا".

ماذا يعني أن نحرز ما يفوق الإنتصار، أو أن نكون أعظم من منتصرين؟ هذا يعني أننا لا نكسب معركة فحسب، لكننا نخرج منها ونحن نمتلك أكثر مما كان لنا قبل المعركة. لقد تبرهنت لي هذه الحقيقة مرات عديدة من واقع خبرتي الشخصية.

عندما تحدثنا عن الدرع، رأينا أن الدرع يحمي القلب. والآن نتحدث عن الخوذة، ونرى أنها تحمي الرأس، والرأس يمثل الذهن. إذاً نحن نتحدث عن خوذة تحمي أذهاننا.

وقد سبق لنا ورأينا أن ساحة المعركة الروحية بأكملها هي في الذهن البشري. وإذا كان الذهن هو ساحة المعركة، فمن الواضح إننا نحتاج إلى حماية لأذهاننا بشكل خاص.

تعلمت من خبرتي في العمل الطبي في الحرب العالمية الثانية هذه الحقيقة: إذا أُصيب أحدهم في رأسه، لا يعود قادراً على إستخدام أسلحته ومعداته بفاعلية. ربما يكون جندياً شجاعاً ويحمل عتاداً ممتازاً، لكنه يجد صعوبة بالغة في الإستفادة من سلاحه ومن قدراته بسبب الإصابة التي في رأسه.

هذا من الناحية الطبيعية، فإذا نظرنا إلى الجانب الروحي، نجد هذا الأمر صحيحاً في حياة كثير من المؤمنين الخدام. لقد كان لي الإمتياز بأن أخدم مع كثيرين من خدام الله الرائعين رجالاً ونساءً في أوقات وأماكن كثيرة. وأعتقد أن المرسلين بالذات يقعون تحت ضغوط روحية هائلة. فبعض المرسلين الذين عملت معهم كانوا رجالاً ونساءً مكرسين لله وأكفاء للخدمة، لديهم دعوة حقيقية وقدرة عظيمة. ومع ذلك، فقد سمحوا مرات

كثيرة لرؤوسهم أن تُجرح. أي سمحوا لأنفسهم بأن يكونوا ضحية للإكتئاب و فقدان الثقة في الخدام المؤمنين الآخرين. هذه المشكلة في أذهانهم تمنعهم من أن يكونوا أولئك الخدام والمرسلين الفعالين في حقل خدمة الله، مع إنهم كانوا مؤهلين لذلك. فالرأس المجروح يمنع إستخدام بقية الأسلحة بفاعلية.

لقد واجهت شخصياً ـ ولعدة سنوات ـ صراعاً هائلاً مع الإكتئاب. كان الأمر يشبه سحابة سوداء إستقرت عليَّ، فجعلتني منطوياً وخاملاً، ومنعتني من التواصل مع الآخرين. لقد شعرت بالعجز، مع إنني خادم لله موهوب في أشياء كثيرة، مما جعلني أفكر في نفسي قائلاً: "الآخرون قادرون، لكن أنا غير قادر لذلك لن أنجح أبداً! ينبغي أن أستسلم!"

لقد عانيت من الإكتئاب لعدة سنوات، وكنت أفعل كل ما في طاقتي، صليت وصمت وطلبت الله وقرأت الكتاب المقدس. وفي يوم من الأيام، أعطاني الرب إعلاناً كان هو الطريق إلى حل مشكلتي.

كنت أقرأ في (أشعياء ٦١: ٣):

«... لأَجْعَلَ لِنَائِحِي صِهْيَوْنَ، لأُعْطِيَهُمْ جَمَالاً عِوَضاً عَنِ الرَّمَادِ، وَدُهْنَ فَرَحٍ عِوَضاً عَنِ النَّوْحِ، وَرِدَاءَ تَسْبِيحٍ عِوَضاً عَنِ الرُّوحِ الْيَائِسَةِ،...» أو الروح المتداعية(الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة)، أو روح الإكتئاب(الترجمة اليسوعية)

عندما قرأت هذه العبارة: «الرُّوحِ الْيَائِسَةِ»، قفز شيء في داخلي وقلت: "هذه هى مشكلتي".

فقرأت المزيد من المقاطع الكتابية التي تتحدث

عـن التحريـر، وصليـت صـلاة إيمـان بسـيطة، فحررني الله مـن تلـك الـروح بطريقـة فـوق طبيعية.

ثـم رأيـت إنـني محتـاج إلى حمايـة خاصـة على ذهـني، وكنـت على معرفـة بذلـك المقطـع مـن (أفسـس ٦)، فقلـت لنفـسي: "لابد إنـني أحتـاج إلى خـوذة الخلاص". ثـم قلـت: "لكـن هـل يعـني هـذا إنـني حصلـت على الخـوذة لأنـني مخلـص؟ هـل هي عمليـة أوتوماتيكيـة تلقائيـة؟". لكنـني إكتشـفت إنهـا ليسـت كذلـك، لأن بولـس كان يكتـب إلى مؤمنـين عندمـا قـال لهـم في (أفسـس ٦: ١٧): «**وَخُـذُوا خُـوذَةَ الْخَـلاَصِ،...**» ثـم قـادني الـرب إلى مقطـع مشـابه في (١تسـالونيكي ٥: ٨):

« وَأَمَّـا نَحْـنُ الَّذِيـنَ مِـنْ نَهَـارٍ، فَلْنَصْـحُ لاَبِسِـينَ دِرْعَ الإِيمَـانِ وَالْمَحَبَّـةِ، وَخُـوذَةً هِيَ رَجَـاءُ الْخَـلاَصِ.»

وعندمـا قـرأت العبـارة «رَجَـاءُ الْخَـلاَصِ»، أخـذت

إعلاناً لحظياً من الروح القدس، لقد عرفت أن الرجاء هو حماية للذهن، بينما الإيمان هو حماية للقلب. ونحن كثيراً ما نخلط بين هاتين الحقيقتين. الإيمان بحسب الكتاب المقدس يكون في القلب (رومية ١٠: ١٠): «**... الْقَلْبَ يُؤْمَنُ بِهِ لِلْبِرِّ...**».

الإيمان هو درع يحمي القلب، أما الذهن فيحميه الرجاء.

فما هي العلاقة بين الإيمان والرجاء؟ هذا ما نجده واضحاً في (عبرانيين ١١: ١):

«**أَمَّا الإِيمَانُ فَهُوَ الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى...**» وفي ترجمة أخرى: أما الإيمان فهو قوام المرجوات (ترجمة فاخوري البولسي) وقوام الأمر هو نظامه وعماده وما يقوم به.

فالإيمان هو قاعدة الحق الأساسية التي يُبنى عليها الرجاء. فإذا كان لدينا إيمان صحيح، فلنا رجاء صحيح. وإذا لم يكن لدينا إيماناً صحيحاً، فلن يكون لنا أيضاً رجاءاً صحيحاً. ربما يكون رجاؤنا مجرد آمال وأمنيات نفكر فيها، لكن إن كان لنا أساس حقيقي من الإيمان، يمكننا أن نبني عليه رجاءً صحيحاً يكون حماية لأذهاننا.

وأود أن أُعرّف الرجاء بطريقة بسيطة تتفق مع كلمة الله: الرجاء هو توقع هادئ وثابت لأمور صالحة مبنية على وعود كلمة الله. "فالرجاء هو تفاؤل متواصل (إذا صح التعبير)، هو توقع الخير بناء على كلمة الله، وهو لا يعطي مجالاً للكآبة أو الشك أو الشفقة على الذات بل دائماً يختار أن يرى الأفضل"، وهذا يعطي حماية للذهن.

وهنـاك أسـاس كافٍ في كلمـة الله يدفعنـا إلى الرجـاء، نجـده في (رومیـة ٨: ٢٨):

«وَنَحْـنُ نَعْلَـمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْـيَاءِ تَعْمَـلُ مَعـاً لِلْخَـيْرِ لِلَّذِيـنَ يُحِبُّـونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَـبَ قَصْدِهِ.»

وإذا كنـا نعلـم حقـاً أن كل مـا يحـدث في حياتنـا، إنمـا يخضـع ليـد الله الـتي تجعـل كل الأشـياء تعمـل معـاً لخيرنـا، فليـس هنـاك مبرر للتشـاؤم، بـل إن كل مـا يحـدث ينبـغي أن يكـون دافعـاً للتفـاؤل (بمعـنى توقـع الأفضـل). إذاً الرجـاء (أي التفـاؤل وتوقـع الأفضـل) هو خـوذة، إن لبسـناها دائمـاً، تحـمي أذهاننـا مـن هجمـات الشـيطان الماكـرة كالشـك والفشـل والشـفقة على الذات وعـدم الثقـة بالآخريـن وغيرهـا.

عندمـا أراني الـروح القـدس أن الخـوذة الـتي تحـمي أذهاننـا هى الرجـاء، كان قـد قـدم لي مـا يشـبه العظـة.

فتمكنت للوقت من أن أجمع عدة مقاطع كتابية تتحدث عن الرجاء، أضع بعضها أمامكم الآن ففي (رومية ٨: ٢٤):

«لأَنَّنَا بِالرَّجَاءِ خَلُصْنَا...»

ماذا يعني ذلك؟ يعني إنه لا خلاص بلا رجاء، فالرجاء هو جزء أساسي في إختبار الخلاص. قارن هذا مع حالة غير المُخلصين كما يصفها المقطع التالي في (أفسس ٢: ١٢):

«...أَنَّكُمْ كُنْتُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ (أي قبل معرفة المسيح) **بِدُونِ مَسِيحٍ، أَجْنَبِيِّينَ عَنْ رَعَوِيَّةِ إِسْرَائِيلَ، وَغُرَبَاءَ عَنْ عُهُودِ الْمَوْعِدِ، لاَ رَجَاءَ لَكُمْ وَبِلاَ إِلَهٍ فِي الْعَالَمِ.»**

فحالة الضائعين هي أنهم **«بِدُونِ مَسِيحٍ، بِلاَ**

رَجَـاءَ، وَبِـلاَ إِلَهٍ». ولا ينبـغي أبـداً أن تكـون حالـة المؤمنـين هكـذا، إذا كان لنـا المسـيح، فلنـا رجـاء، ولنـا إله. نقـرأ في (كولـوسي ١: ٢٧):

«الَّذِيـنَ أَرَادَ اللهُ أَنْ يُعَرِّفَهُـمْ مَـا هُـوَ غِـنَى مَجْـدِ هَذَا السِّرِّ فِي الأُمَمِ، الَّذِي هُوَ الْمَسِـيحُ فِيكُـمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ.»

هـذا هـو الـسر الحقيـقي، سر الإنجيـل: «الْمَسِـيحُ فِيكُـمْ» وإن كان المسـيح فيكـم فلكـم رجـاء. وإن لـم يكـن لكـم رجـاء فـكأن المسـيح ليـس فيكـم. ولا أقصـد إنـك تكـون نفسـاً هالكـة، لكـني أقصـد إنـك لا تحيـا إختبـار الخـلاص. إن الرجـاء في ذهنـك جـزء مهـم مـن إختبـار خلاصـك.

وتقـدم لنـا (عبرانيـين ٦: ١٧ ـ ٢٠) صورتـين جميلتين عـن الرجاء:

«فَلِذَلِكَ إِذْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يُظْهِرَ أَكْثَرَ كَثِيراً لِوَرَثَةِ الْمَوْعِدِ عَدَمَ تَغَيُّرِ قَضَائِهِ، تَوَسَّطَ بِقَسَمٍ، حَتَّى بِأَمْرَيْنِ عَدِيمَيِ التَّغَيُّرِ، لاَ يُمْكِنُ أَنَّ اللهَ يَكْذِبُ فِيهِمَا، تَكُونُ لَنَا تَعْزِيَةٌ قَوِيَّةٌ، نَحْنُ الَّذِينَ الْتَجَأْنَا لِنُمْسِكَ بِالرَّجَاءِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا، الَّذِي هُوَ لَنَا كَمِرْسَاةٍ لِلنَّفْسِ مُؤْتَمَنَةٍ وَثَابِتَةٍ، تَدْخُلُ إِلَى مَا دَاخِلَ الْحِجَابِ، حَيْثُ دَخَلَ يَسُوعُ كَسَابِقٍ لأَجْلِنَا...»

الصورة الأولى من الرجاء: هي المذبح، كان المذبح في العهد القديم مكاناً للحماية من طالبي الدم (أي الذين يقصدون القتل بدافع الثأر)، فعندما تهرب إلى المذبح تكون آمناً. ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين إننا ينبغي أن نهرب إلى المذبح ونتمسك بقرونه عندما تأتي المصاعب والضغوط، وأن لا نسمح لشيء أن يسحبنا بعيداً عنه. أما المذبح هنا فهو الرجاء.

الصورة الثانية من الرجاء: فهي أن الرجاء كَمِرْسَاةٍ تجتاز الزمن وتدخل إلى الأبدية، إلى محضر الله نفسه. نحن في هذا العالم أشبه بسفينة صغيرة يحملها البحر، وكل ما حولنا مؤقت وغير دائم، متقلب لا يُعتمد عليه، وما من شيء يمنحنا الثبات والأمان. لذلك نحتاج إلى مرساة تعبر حجاب الزمن إلى الأبدية، وتتثبت بإحكام في صخر الدهور. عندما يكون لنا رجاء، تكون لنا هذه المرساة.

أخيراً نقرأ في (عبرانيين ١٠: ٢٣):

«**لِنَتَمَسَّكْ بِإِقْرَارِ الرَّجَاءِ رَاسِخاً، لأَنَّ الَّذِي وَعَدَ هُوَ أَمِينٌ.** أو لنتمسك بالرجاء الذي نعترف به...» (الترجمة التفسيرية، كتاب الحياة)

واصل التمسك بالرجاء، ولا تتركه أبداً، فهو حماية لذهنك.

الفصل الثاني عشر

سيف الروح

يتميز السيف عن الأسلحة الأخرى بشيء واحد، فهو أول قطعة دفاعية وهجومية معاً. من دون السيف، لا نستطيع طرد الشيطان. ربما نستطيع، بإستخدام الأسلحة الباقية معاً، أن نمنع الشيطان من أن يُصيبنا، لكننا لا نستطيع أن نطرده من دائرة حضورنا، أما السيف فهو السلاح الوحيد في قائمة الأسلحة والذي نستطيع به أن نطرد الشيطان، وهو يدعى في (أفسس ٦: ١٧): «**كَلِمَةُ اللهِ**»

يُشبه الكتاب المقدس كلمة الله بالسيف، ذلك

أن كلمة الله قادرة على الإختراق والنفاذ كما تعلن في (عبرانيين ٤: ١٢):

«لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ، وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ.»

تخترق كلمة الله كل مجال من مجالات شخصية الإنسان؛ فهى خَارِقَةٌ إلى المخاخ (أي نخاع العظم)، أكثر أجزاء الجسم المادي عمقاً. ثم إن كلمة الله تميز الحد الفاصل بين النَّفْسِ وَالرُّوحِ، وهي أعمق جوانب الشخصية الإنسانية. نعم، إن كلمة الله هى أَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ.

في (رؤيا ١: ١٦) رأى يوحنا يسوع في مجده كرب الكنيسة، وأيضاً واحدة من الأشياء التي رآها كان سيفاً يخرج من فمه:

«وَمَعَهُ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى سَبْعَةُ كَوَاكِبَ، وَسَيْفٌ مَاضٍ ذُو حَدَّيْنِ يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ،...»

هذا "سَيْفٌ مَاضٍ ذُو حَدَّيْنِ" هو كلمة الله التي تخرج من فم يسوع. وبما أن الكتاب المقدس يحدثنا عن يسوع وكيف إستخدم هو نفسه سيف كلمة الله، فمن المناسب أن ندرس كيف إستخدم يسوع ذلك السيف في حياته على الأرض. نجد أوضح صورة لذلك في (متى ٤: ١ ـ ١١)، حيث نقرأ وصفاً للحادثة التي جرب بها الشيطان الرب يسوع في البرية. ودعوني أشر أن يسوع في كل مرة واجه فيها الشيطان، إستخدم سلاحاً واحداً ضده، وهو **"سَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ"**.

«ثُمَّ أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ. فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَاراً وَأَرْبَعِينَ

لَيْلَةً جَاعَ أَخِيراً. فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هَذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزاً». فَأَجَابَ: «مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ». ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ وَأَوْقَفَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ، وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ فَعَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ، لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «مَكْتُوبٌ أَيْضاً: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلَهَكَ». ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضاً إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جِدّاً وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: «أُعْطِيكَ هَذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي». حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ». ثُمَّ تَرَكَهُ إِبْلِيسُ، وَإِذَا مَلاَئِكَةٌ قَدْ جَاءَتْ فَصَارَتْ تَخْدِمُهُ.»

وأود أن أُشير هنا إلى بعض الحقائق المهمة التي تتعلق بهذا المقطع الكتابي:

أولاً: لم يشكك الرب يسوع ولا الشيطان نفسه في سلطان كلمة الله. أليس هذا مذهلاً؟! لقد إقتبس يسوع من سفر التثنية بالتحديد، ذلك السفر الذي تعرض إلى هجوم ونقد من قِبل اللاهوتيين المعاصرين. وأنا أعتقد شخصياً بأن يسوع والشيطان كانا أكثر حكمة من أولئك اللاهوتيين المعاصرين، فالشيطان عرف سلطان الكلمة، وبالطبع كانت معرفة الرب يسوع للكلمة وسلطانها عميقة بما لا يقاس.

ثانياً: التجارب الثلاث التي تعرض لها يسوع، كانت ترتكز على إثارة الشك؛ كان الشيطان يبدأ دائماً بالكلمة «إِنْ» في محاولة لوضع حقيقة ما موضع الشك.

ثالثاً: وكما أشرت سابقاً، لم تختلف طريقة يسوع في أسلوبه بالتعامل مع الشيطان، بل إستخدم دائماً السلاح نفسه ضده، سلاح كلمة الله وهو:

«مَكْتُوبٌ... مَكْتُوبٌ أَيْضاً... لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ...»

من المهم أن نلاحظ أيضاً أن الشيطان إقتبس من كلمة الله أيضاً. لكنه يضعها في غير موضعها. لقد إقتبس الشيطان من مزمور ٩١ مُحَرِّفاً تفسير الكلمات، لكن يسوع إقتبس ثانية من سفر التثنية مبيناً خداع الشيطان. فإن كان الشيطان قد تجرأ على إستخدام كلمة الله ضد يسوع، فمن الوارد أن يستخدمها ضدك أو ضدي. لذلك، ينبغي أن نتمكن من كلمة الله المكتوبة، وأن نفهم كيف نطبقها إن كنا نريد أن نتعامل مع هجمات إبليس. ينبغي أن نحذر من أولئك الذين يشوهون مفاهيم الكلمة، ويحاولون جذبنا إلى الطريق الخطأ.

لم يواجه يسوع الشيطان بإستخدام اللاهوت أو بإعلان نسبه الديني، لم يحدثه عن مجمع يتردد عليه أو معلم تعلم على يديه، لكنه كان يُسرع إلى إقتباس الكلمة المكتوبة قائلاً:

«**مَكْتُوبٌ... مَكْتُوبٌ... مَكْتُوبٌ...**». وبعد الطعنة الثالثة بهذا السيف الماضي ذو الحدين، تراجع الشيطان، فقد نال كفايته، وأنا وأنت قد أُعطينا إمتيازاً عظيماً بأن نستخدم هذا السلاح نفسه.

عندما يتحدث بولس عن سيف الروح الذي هو كلمة الله في (أفسس ٦: ١٧):

«**...وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ.**»

فإنه يستخدم الكلمة اليونانية "Rhema"، وهي تعني أساساً "الكلمة المنطوقة"، فمن الأهمية أن نفهم

أن سَـيْفَ الـرُّوحِ ليـس هـو ذلـك الكتـاب الموضوع على رف المكتـب أو على المنضـدة، فذلـك لا يخيـف الشـيطان مطلقـاً. لكـن عندمـا تأخـذ الكلمـة المكتوبـة وتنطقها بلسـانك مبـاشرة، تصبـح الكلمـة آنـذاك سـيفاً للـروح.

لاحـظ أيضـاً أهميـة هـذه العبـارة «سَـيْفَ الـرُّوحِ». إنهـا تُشـير إلى التعـاون بـين المؤمـن والـروح القـدس، نحـن نحمـل السـيف فـلا يحملـه الـروح القـدس عوضـاً عنـا، لكـن الـروح القـدس يعطينـا القـوة والحكمـة في إسـتخدام السـيف بعـد أن نحملـه.

الفصل الثالث عشر

منطقة بلا حماية

لقد غطينا جميع الأسلحة الستة التي تُؤمن لنا الحماية، وهي منطقة الحق، درع البر، حذاء إستعداد الإنجيل، تُرس الإيمان، خُوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو كلمة الله. فإذا حملنا هذا السلاح الواقي الذي أعده لنا الله، سنتمتع بالحماية الكاملة من قمة الرأس إلى أخمص القدم، ما عدا منطقة واحدة!

الظهر هو المنطقة الوحيدة من الجسم الذي لا توجد حماية له، وأعتقد أن هذه حقيقة مهمة، ولها تطبيق مذدوج:

أولاً: لا تعطي ظهرك لإبليس أبداً، لأنك إن فعلت ذلك تعطيه فرصة لكي يجرحك في منطقة غير محمية. وبعبارة أخرى، لا تستسلم أبداً، لا تستدير أو تتراجع مُعطياً ظهرك للمعركة قائلاً: "لقد عانيت بما في الكفاية، أنا لا يمكن أن أحتمل المزيد". فأنت بذلك تُعطي ظهرك المكشوف لإبليس، وتأكد إنه سوف يستفيد من هذه الفرصة ويجرحك.

ثانياً: نحن غير قادرين دائماً على حماية ظهورنا. في الجيوش الرومانية، كان جنود المشاة يحاربون في صفوف متراصة، وكان صف الجنود المتماسك يُدعى "phalanx"، وباليونانية تعني "جماعة منظمة".

كانوا مدربين على القتال بهذه الطريقة، فلا يسمح لأحدهم بأن يخرج عن الصف. وكان كل

جنـدي منهـم يعـرف الجنـدي الذي عـن يمينـه والجنـدي الذي عـن يسـاره، فـكان يعـرف أن هنـاك مـن يحـمي ظهـره إذا اشـتد عليـه ضغـط المعركـة ولا يقـدر على حمايـة ظهـره بنفسـه.

وأعتقـد أن هـذا الـشيء نفسـه ينطبـق علينـا إيضـاً في حياتنـا كمؤمنـين. إذ لا يمكـن لنـا أن نخـرج ونواجـه تحـدي مملكـة الشـيطان كأفـراد معزولـين، بـل ينبـغي أن نتحـلى بهـذا الإنضبـاط، وأن نعـرف مواقعنـا في الجسـد (الذي هـو جيـش المسـيح)، وأن يعـرف كل منـا مـن يقـف عـن يمينـه ومـن يقـف عـن يسـاره. ينبـغي أن نكـون قادريـن على الثقـة بإخوتنـا الجنـود الآخريـن، فعندمـا تشـتد الضغـوط نعـرف مـن سـيكون هنـاك لحمايـة ظهورنـا عندمـا لا نسـتطيع نحـن حمايتها.

مضـت أربعـون سـنة تقريبـاً منـذ أن انخرطـت في

خدمة الرب، ولقد رأيت خلالها الكثير والكثير. ورأيت أن المأساة الحقيقية في إختبار الحياة الإيمانية هي أن يجرحك ذلك الإنسان الذي كان ينبغي أن يحمي ظهرك. كم مرة تعرضنا إلى جرح في الظهر كان سببه أخ مؤمن؟! إنها مواقف ما كان ينبغي لها أن تحدث.

فدعونا نضع في قلوبنا وأذهاننا أن نقف صفاً واحداً جنباً إلى جنب، لا نجرح بعضنا بعضاً، بل نحمي أحدنا الآخر.

الجزء الثالث

أسلحة الهجوم

الفصل الرابع عشر

المبـادرة بالهجـوم

تعرضنـا في الجـزء السـابق إلى قائمـة الأسـلحة السـتة الـتي ذكرهـا بولـس في (أفسـس ٦: ١٤ ـ ١٧) وهم: منطقـة الحـق، درع الـبر، حـذاء إسـتعداد الإنجيـل، تُـرس الإيمـان، خُـوذة الخـلاص وسـيف الـروح. وقـد أشرت إلى أن كل هـذه المعـدات تسـتخدم للدفـاع عـن النفـس عـدا السـيف فهـو سـلاح هجـومي فهـو لا يصـل إلى أبعـد مـن ذراع حاملـه. وبعبـارة أخـرى، هـذه الأسـلحة- بمـا فيهـا السـيف- لا تؤهلنـا لهـدم حصـون الشـيطان كمـا وصفهـا بولـس فـي (٢كورنثـوس ١٠: ٤-٥)، حيـث يتحـدث عـن إلتزامنـا

بهدم معاقل أو حصون الشيطان.

«إِذْ أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً، بَلْ قَادِرَةٌ بِاللهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ. هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ،»

فلنتقدم الآن من الدفاع إلى الهجوم، ونتحدث عن الأسلحة الهجومية التي تُمكننا من مهاجمة حصون الشيطان وهدمها. ومن المهم أن ندرك أهمية مبادرتنا بالهجوم، أن نتحرك بنشاط ونهاجم مملكة الشيطان. فالتاريخ يؤكد والتجربة تثبت أنه لم ينتصر جيش قط بإعتماده على أسلوب الدفاع وحده.

في أوائل هذا القرن، سأل أحدهم ضابطاً فرنسياً مشهوراً (برتبة لواء) قائلاً: "أي جيش ينتصر في

الحرب؟" فأجاب اللواء: "الذي يبادر بالهجوم!" فمن المؤكد أننا لن نربح حرباً بالتراجع أو حتى بالثبات في مواقعنا. ولن تسقط مملكة الشيطان، إذا بقيت الكنيسة في وضع الدفاع عن النفس فقط بدلاً من وضع الهجوم.

عندما كشف يسوع ـ للمرة الأولى ـ عن خطته نحو الكنيسة، وضع تصوراً لها بأن تكون في حالة الهجوم على حصون الشيطان. كانت المرة الأولى التي يَرد فيها ذكر الكلمة "كنيسة" في العهد الجديد هي في (متى ١٦: ١٨)، حيث كان يسوع يخاطب بطرس قائلاً:

«أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا.»

وفي ترجمة بديلة تقول: "أن جميع أبواب الجحيم لن تكون قوية أبداً عليكي"

أما الكلمة اليونانية المترجمة «الْجَحِيمِ» هنا فهي "Hades" وهي كلمة مشتقة من أصل يعني «غير مرئي». فالْجَحِيمِ إذاً أو "Hades" هو عالم مملكة الشيطان غير المرئي.

لقد صور يسوع الكنيسة في ضوء نشاطين رئيسين هما البناء والقتال. وينبغي لهذين النشاطين أن يترافقا دائماً معاً. فما جدوى القتال إن كنا لا نسعى إلى البناء؟ وكيف نبني إن لم نقاتل؟ لذلك، ينبغي أن نفكر دائماً ببناء الكنيسة وبقتال قوات الشيطان معاً في آن واحد.

وقد فسر كثيرون كلمات الرب يسوع في (متى ٦: ١٨) تفسيراً خاطئاً، فافترضوا مخطئين أن يسوع صَوَّر الكنيسة في وضع دفاعي، وكأنما هي في مدينة محاصرة بقوات الشيطان. وفهموا وعد يسوع

على إنه يعني بألا يتمكن الشيطان من إختراق باب تلك المدينة قبل أن يأتي الرب ويختطف الكنيسة. هذا هو المفهوم الدفاعي الذي ألصقناه بالكنيسة، وهو مفهوم خاطئ تماماً.

لقد صور يسوع الكنيسة في وضع الهجوم على أبواب الشيطان، وكان وعده أن أبواب الشيطان لن تصمد أمام هجوم الكنيسة، وأن الشيطان لن يتمكن من صد تقدمها. فليست الكنيسة هي التي تحاول صد الشيطان ومنعه من الدخول، بل الشيطان الذي يحاول صد الكنيسة فيفشل. ويتضمن وعد يسوع أننا إن أطعناه بإعتباره قائداً أعلى، نستطيع ـ آنذاك ـ أن نتحرك خارج قواقعنا مهاجمين معاقل الشيطان، محطمين أبواب الجحيم، محررين أسرى الظلام ومستردين كل ما سلبه الشيطان. هذه هي مهمة الكنيسة، وهي مهمة هجومية بالضرورة لا دفاعية.

وللكلمة «باب» معناً ذو أهمية بالغة في الكتاب المقدس، فالباب أول كل شيء هو مكان الحكم والمشاورة. مثلاً نقرأ في (أمثال ٣١: ٢٣) عن زوج المرأة الفاضلة الأمينة ما يلي:

«زَوْجُهَا مَعْرُوفٌ فِي الأَبْوَابِ حِينَ يَجْلِسُ بَيْنَ مَشَايِخِ الأَرْضِ.»

لاحظ أن باب المدينة هو المكان الذي يوجد فيه إجتماع الشيوخ الذين يحكمون المدينة ويديرون شؤونها. فعندما يقول الكتاب إن أبواب الشيطان، أو أبواب الجحيم، لن تقوى على الكنيسة، فهذا يعني أن مشورات الشيطان ضد الكنيسة ستُحبط وتبطل تماماً.

والباب هو المكان الطبيعي الذي يستهدفه الهجوم على مدينة ما، فالباب أضعف من الأسوار. نقرأ في (إشعياء ٢٨: ٦):

«... **وَبَأْساً لِلَّذِينَ يَرُدُّونَ الْحَرْبَ إِلَى الْبَابِ.**»، فالصورة التي أمامنا إذاً هي صورة الكنيسة التي تنقض على أبواب معاقل الشيطان، وصورة الأبواب الشيطانية التي تعجز عن صد هجوم الكنيسة ومنعها من الدخول. من هنا ينبغي لنا أن نتوقف عن التفكير بطريقة دفاعية، وأن نبدأ بالتفكير في الهجوم.

وأعتقد ـ حسب تجربتي وخبرتي ـ أن معظم المؤمنين يعانون من موقف قد تعبر عنه هذه الكلمات: "أين يا ترى سيضرب الشيطان ضربته التالية؟"، وأعتقد أن الحال يجب أن يكون بالعكس، ينبغي أن يتساءل الشيطان عن مكان الضربة القادمة التي ستضربها الكنيسة .

ولمتابعة دراسة موضوعنا هذا حول الكنيسة

المبـادرة بالهجـوم، أود أن أوضـح:

أولاً، القاعـدة الكتابيـة الـتي نعتمـد عليهـا بهـذا الخصـوص. ونجـد هـذه القاعـدة ـ بشـكل رئيـسي ـ في عـدد واحـد في (كولـوسي ٢: ١٥)، حيـث يصـف بولـس مـا حققـه الله مـن خـلال مـوت المسـيح نيابـة عنـا على الصليـب.

«**... إِذْ جَـرَّدَ الرِّيَاسَـاتِ وَالسَّـلاَطِينَ**» الرياسـات هنـا هي نفسـها تلـك المُشـار إليهـا فـي (أفسـس ٦: ١٢). وقـد جـرد الله، بواسـطة الصليـب، تلـك الرياسـات والسـلاطين مـن السـلاح. هـل فكـرت يومـاً أن الشـيطان مـنزوع السـلاح؟ نعـم، لقـد نـزع الله أسـلحته، وجـرد الرياسـات بعمـل الصليـب. أمـا تكملـة ذلـك العـدد في (كولـوسي ٢: ١٥) يقـول:

«**... أَشْهَرَهُمْ جِهَاراً، ظَافِراً بِهِمْ فِيهِ.**»

إذاً نـزع الله أسـلحة مملكـة الشـيطان، وشـهر بمـن يمثلـون مملكـة الشـيطان علنـاً (أي أعلـن هزيمتهـم وأذلهـم علنـاً)، وظفـر بهـم بالصليـب.

وكمـا أشرنـا سـابقاً فـإن الظفـر هنـا لا يعـني واقعـة الإنتصـار نفسـها، بـل يشـير إلى الإحتفـال بإنتصـار قـد سـبق وتـم، وعلينـا إظهـار ذلـك الإنتصـار الكامـل. فعـلى الصليـب لـم يكسـب يسـوع المعركـة لأجـل نفسـه، فهـو منتـصر دائمـاً، لكنـه إنتـصر نيابـة عنـا. وهكـذا صـار إنتصـاره هـو إنتصارنـا نحـن.

ثانياً، يعلن بولس في (٢كورنثوس ٢: ١٤) قائلاً:

« وَلَكِـنْ شُـكْراً لِلّٰهِ الَّذِي يَقُودُنَـا فِي مَوْكِـبِ نُصْرَتِـهِ فِي الْمَسِـيحِ كُلَّ حِـينٍ، وَيُظْهِـرُ بِنَـا رَائِحَـةَ مَعْرِفَتِـهِ فِي كُلِّ مَـكَانٍ.»

«كُلَّ حِينٍ» و «فِي كُلِّ مَكَانٍ» نحن نمثل إنتصار المسيح. وهكذا يظهر الله إنتصار المسيح من خلالنا على الرياسات والسلاطين والقوات الشيطانية. ذلك الإنتصار الذي يتحقق فينا ومن خلالنا.

وها هي الإرسالية الأخيرة التي وضعها يسوع بين يدي تلاميذه في (متى ٢٨: ١٨-١٩):

«**فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ** [إن كان يسوع لديه كل السلطان، فلا سلطان لسواه، إلا إذا أراد هو أن يسلم سلطانه إلى من يريد]، **فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ، وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ.**»

قال يسوع: «**...دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ... فَاذْهَبُوا...**» فما دلالة حرف الفاء هنا؟ أعتقد أن يسوع يريد أن يقول: "إذهبوا ومارسوا السلطان الذي دُفع إليَّ،

مارسوه نيابة عني." إن مهمتنا هي أن نمارس إنتصار يسوع بطريقة عملية؛ أن نُظهر غلبته ونمارس سلطانه، وهي الأمور التي كسبها يسوع نيابة عنا. ولا يكون السلطان فعالاً إن لم نمارسه، بل يكون بلا ثمر ويبقى بلا فاعلية.

ولا يستطيع العالم أن يرى إنتصار المسيح إلا إذا أظهرناه نحن؛ لقد حقق المسيح الإنتصار، لكن مهمتنا هي إظهار ذلك الإنتصار على الشيطان وعلى مملكته. ولا يمكن إظهار الإنتصار إلا عندما ننتقل من مواقعنا الدفاعية إلى المبادرة بالهجوم.

الفصل الخامس عشر

سلاح الصلاة

لقد وفر لنا الله الأسلحة الروحية المناسبة من أجل أن نتمكن من الهجوم على حصون الشيطان وهدمها. نقرأ في (٢كورنثوس ١٠: ٤):

«**إِذْ أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً** [أي ليست مادية كالقنابل والرصاص والدبابات والطائرات الحربية]، **بَلْ قَادِرَةٌ بِاللهِ عَلَى هَدْمِ حُصُونٍ.**»

هذه الحصون هي حصون الشيطان بالطبع. وبعبارة أخرى، فقد وفر لنا الله أسلحة روحية، وبِناء على دراستي المكثفة وخبرتي الشخصية، أعتقد

أن كلمة الله تعلن عن أربعة أسلحة روحية للهجوم هى :الصلاة، التسبيح، الكرازة، والشهادة، وسوف نتحدث أولاً عن سلاح الصلاة.

وأود أن أؤكد هنا على أن الصلاة هي أكثر من مجرد سلاح، يوجد جوانب مختلفة للصلاة، واحدة منها فقط هى إنها سلاح في الحرب الروحية. وأعتقد إنها السلاح الأقوى من بين جميع الأسلحة التي أوكلنا الله عليها.

في (أفسس ٦: ١٨)، وبعد أن يذكر بولس قائمة الأسلحة الدفاعية يقول:

«مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلاَةٍ وَطِلْبَةٍ كُلَّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ...»

وهنا ينتقل بولس من الحديث عن الدفاع إلى الهجوم، وليس من قبيل المصادفة أن تأتي هذه

الكلمات بعد قائمة الأسلحة الدفاعية مباشرة، فهو يذكر هنا أعظم الأسلحة الهجومية على الإطلاق، ألا وهو الصلاة.

فكر بالصلاة وكأنها صاروخ عابر للقارات؛ إنها صاروخ يُطلق من إحدى القارات، ويوجه بواسطة نظام تكنولوجي متقدم إلى هدف في قارة أخرى، وذلك لتدمير ذلك الهدف المحدد. فالصلاة لا تُحد بوقت أو مسافة، فهي تشبه ذلك الصاروخ عابر القارات. وبالصلاة نستطيع أن نهاجم حصون الشيطان أينما كانت، حتى ولو في السماويات.

ومن أمثلة الصلوات الهجومية ما نجده في (أعمال الرسل ١٢: ١-٦). كانت الكنيسة تعاني من إضطهاد الملك هيرودس، وكان يعقوب ـ أحد القادة ـ قد أُعدم بالفعل على يد هيرودس. أما بطرس

فقد أُعتقل وسُجن ووضع على لائحة الإعدام. فيما يلي وصف تلك الحالة كما يقدمها سفر الأعمال:

«وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَدَّ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ يَدَيْهِ لِيُسِيءَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْكَنِيسَةِ، فَقَتَلَ يَعْقُوبَ أَخَا يُوحَنَّا بِالسَّيْفِ. وَإِذْ رَأَى أَنَّ ذَلِكَ يُرْضِي الْيَهُودَ عَادَ فَقَبَضَ عَلَى بُطْرُسَ أَيْضاً. وَكَانَتْ أَيَّامُ الْفَطِيرِ. وَلَمَّا أَمْسَكَهُ وَضَعَهُ فِي السِّجْنِ مُسَلِّماً إِيَّاهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَرَابِعَ مِنَ الْعَسْكَرِ لِيَحْرُسُوهُ، نَاوِياً أَنْ يُقَدِّمَهُ بَعْدَ الْفِصْحِ إِلَى الشَّعْبِ [لم يكن هيرودس ليقتل بطرس وقت الفصح، لأن ذلك كان سيُعتبر انتهاكاً لقدسية ذلك اليوم في نظر اليهود]. **فَكَانَ بُطْرُسُ مَحْرُوساً فِي السِّجْنِ. وَأَمَّا الْكَنِيسَةُ فَكَانَتْ تَصِيرُ مِنْهَا صَلاَةٌ بِلَجَاجَةٍ إِلَى اللهِ مِنْ أَجْلِهِ. وَلَمَّا كَانَ هِيرُودُسُ مُزْمِعاً أَنْ يُقَدِّمَهُ، كَانَ بُطْرُسُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ نَائِماً بَيْنَ عَسْكَرِيَّيْنِ مَرْبُوطاً بِسِلْسِلَتَيْنِ. وَكَانَ قُدَّامَ الْبَابِ حُرَّاسٌ يَحْرُسُونَ السِّجْنَ.»**

كان بطرس مسجوناً تحت حراسة مشددة جداً، فقد كان هيرودس حريصاً جداً على ألا ينقذه أحد، حتى أنه أمر بأربعة فرق تتناوب الحراسة نهاراً وليلاً، وفي كل فريق أربعة جنود. وواضح أيضاً أن حارساً كان ينبغي أن يكون مقيداً بيدي بطرس أو بقدميه، مما يجعل من المستحيل أن تنجح عملية إنقاذه بطريقة طبيعية. لكن الكنيسة كانت تصلي بلجاجة.

هكذا تعمل الأزمات على تعديل أولوياتنا. لا أعرف كيف كان حال الكنيسة ـ قبل تلك الأزمة ـ من جهة اللجاجة والمثابرة في الصلاة، لكن ما حدث هو أن يعقوب أُخذ من بينهم فجأة، وهم يدركون الخطر الذي ينتظرهم إذا فقدوا قائدهم بطرس أيضاً، لقد دفعهم هذا كله إلى اللجاجة في الصلاة. ولم يصلوا في النهار فقط، بل في الليل أيضاً.

كما يُشير الكتاب، إذ قال يسوع في (لوقا ١٨: ٧):

«أَفَلاَ يُنْصِفُ اللهُ مُخْتَارِيهِ الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَاراً وَلَيْلاً...؟!»

في بعض الأحيان نحن نحتاج إلى صلاة مكثفة ومستمرة لإطلاق التدخل الإلهي لنا. وكان يسوع قد قدم وعداً لبطرس في (يوحنا ٢١: ١٨-١٩):

«اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: لَمَّا كُنْتَ أَكْثَرَ حَدَاثَةً كُنْتَ تُمَنْطِقُ ذَاتَكَ وَتَمْشِي حَيْثُ تَشَاءُ. وَلَكِنْ مَتَى شِخْتَ فَإِنَّكَ تَمُدُّ يَدَيْكَ وَآخَرُ يُمَنْطِقُكَ وَيَحْمِلُكَ حَيْثُ لاَ تَشَاءُ». قَالَ هَذَا مُشِيراً إِلَى أَيَّةِ مِيتَةٍ كَانَ مُزْمِعاً أَنْ يُمَجِّدَ اللهَ بِهَا. وَلَمَّا قَالَ هَذَا قَالَ لَهُ: «اتْبَعْنِي».»

وأتساءل هل كان بطرس يتأمل في هذا الوعد

أثنـاء وجـوده في السـجن؟ فقـد قـال له يسـوع: «**... وَلَكِـنْ مَـتَى شِـخْتَ...**» ولـم يكـن بطـرس قـد شـاخ بعـد في ذلـك الوقـت. وأعتقـد أنـه كان يتوقـع حـدوث شيء مـا يثبـت كلمـات الـرب يسـوع، وقـد ثبتـت بالفعـل، ولكـن الأمـر إحتـاج صـلاة الكنيسـة لتحقيقـه.

وقـد إسـتجاب الله لصـلاة الكنيسـة، إذ أرسـل مـلاكاً ليحـرر بطـرس. هـذا مـا نجـد تفاصيلـه في (أعمـال ١٢: ٧-١١):

«**وَإِذَا مَـلاَكُ الـرَّبِّ أَقْبَـلَ، وَنُـورٌ أَضَـاءَ فِي الْبَيْـتِ، فَـضَرَبَ جَنْـبَ بُطْـرُسَ وَأَيْقَظَـهُ قَائِـلاً: «قُـمْ عَاجِـلاً». فَسَـقَطَتِ السِّلْسِـلَتَانِ مِـنْ يَدَيْـهِ. وَقَـالَ لَهُ الْمَـلاَكُ: «تَمَنْطَـقْ وَالْبَـسْ نَعْلَيْـكَ». فَفَعَـلَ هَكَـذَا. فَقَـالَ لَهُ: «الْبَـسْ رِدَاءَكَ وَاتْبَعْـنِي». فَخَـرَجَ يَتْبَعُـهُ. وَكَانَ لاَ يَعْلَـمُ**

أَنَّ الَّذِي جَرَى بِوَاسِطَةِ الْمَلاَكِ هُوَ حَقِيقِيٌّ، بَلْ يَظُنُّ أَنَّهُ يَنْظُرُ رُؤْيَا. فَجَازَا الْمَحْرَسَ الأَوَّلَ وَالثَّانِيَ وَأَتَيَا إِلَى بَابِ الْحَدِيدِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْمَدِينَةِ، فَانْفَتَحَ لَهُمَا مِنْ ذَاتِهِ، فَخَرَجَا وَتَقَدَّمَا زُقَاقاً وَاحِداً. وَلِلْوَقْتِ فَارَقَهُ الْمَلاَكُ.

فَقَالَ بُطْرُسُ وَهُوَ قَدْ رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ: «الآنَ عَلِمْتُ يَقِيناً أَنَّ الرَّبَّ أَرْسَلَ مَلاَكَهُ وَأَنْقَذَنِي مِنْ يَدِ هِيرُودُسَ، وَمِنْ كُلِّ انْتِظَارِ شَعْبِ الْيَهُودِ».

لقد إستجاب الله لصلاة الكنيسة بتدخل فوق الطبيعي وبواسطة ملاك. لكن تحرير بطرس كان الجزء الأول فقط من نتائج صلواتهم. وينبغي أن نلقي الضوء على الجزء الثاني، الذي يتضمن دينونة نفذها ملاك الرب على الملك المضطهد هيرودس.

فلنقرأ في (أعمال ١٢: ١٩-٢٣):

«وَأَمَّا هِيرُودُسُ فَلَمَّا طَلَبَهُ وَلَمْ يَجِدْهُ فَحَصَ الْحُرَّاسَ وَأَمَرَ أَنْ يَنْقَادُوا إِلَى الْقَتْلِ. ثُمَّ نَزَلَ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ إِلَى قَيْصَرِيَّةَ وَأَقَامَ هُنَاكَ. وَكَانَ هِيرُودُسُ سَاخِطاً عَلَى الصُّورِيِّينَ وَالصَّيْدَاوِيِّينَ فَحَضَرُوا إِلَيْهِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَاسْتَعْطَفُوا بَلاَسْتُسَ التَّاظِرَ عَلَى مَضْجَعِ الْمَلِكِ، ثُمَّ صَارُوا يَلْتَمِسُونَ الْمُصَالَحَةَ لأَنَّ كُورَتَهُمْ تَقْتَاتُ مِنْ كُورَةِ الْمَلِكِ. فَفِي يَوْمٍ مُعَيَّنٍ لَبِسَ هِيرُودُسُ الْحُلَّةَ الْمُلُوكِيَّةَ وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ الْمُلْكِ وَجَعَلَ يُخَاطِبُهُمْ. فَصَرَخَ الشَّعْبُ: «هَذَا صَوْتُ إِلَهٍ لاَ صَوْتُ إِنْسَانٍ!». فَفِي الْحَالِ ضَرَبَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ لأَنَّهُ لَمْ يُعْطِ الْمَجْدَ لِلّهِ، فَصَارَ يَأْكُلُهُ الدُّودُ وَمَاتَ.»

دعنا نبحث كيف عملت الصلاة، في هذا الوضع، كسلاح للهجوم. لقد إخترقت الصلاة

السماء وأطلقت الملائكة للتدخل. ويمكن مقارنة ذلك مع ما حدث في أيام دانيال(إنظر دانيال ١٠)، إذ صلى دانيال وجاء الملاك من السماء بالإستجابة.

والتعليق الأخير الذي يختم به الكتاب المقدس حادثة أعمال الرسل في (أعمال ١٢: ٢٤) هو كالتالي:

«وَأَمَّا كَلِمَةُ اللهِ فَكَانَتْ تَنْمُو وَتَزِيدُ.»

هذا يصور نمو كلمة الله التي لا تقاوم، خاصةً ذلك الوعد الذي أعطاه يسوع لبطرس بأنه لن يموت قبل أن يشيخ. لكن وعود الله تطلبت الصلاة من أجل تنفيذها. هذا ما ينبغي علينا أن نفهمه: إن وعود كلمة الله ليست بديلاً عن صلواتنا، فالوعود تدفعنا إلى الصلاة، والصلاة ضرورية لتحويل تلك الوعود إلى حقيقة فعالة في أرواحنا. كما أن تحرك

الملائكة وتدخلها من أجلنا يتطلب الصلاة.

تقول كلمة الله في (عبرانيين ١: ١٤):

«أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ!»

إن الملائكة هي أرواحٌ خادمة، أُرسلت لمنفعتنا. لكن الملائكة لا تأتي عادةً إلا متى صلينا؛ فصلواتنا تحرك الملائكة وتجعلها تتدخل كإستجابة إلهية.

تذكر أن الصلاة تخترق مملكة الشيطان في السماويات وتُطْلِق الملائكة لكي تتدخل.

الفصل السادس عشر

سلاح التسبيح

السلاح الهجومي العظيم الثاني، والذي يأتي منطقياً بعد الصلاة، هو سلاح التسبيح. يمكنك إعتبار التسبيح شكلاً من أشكال الصلاة بمعنى ما، لكن التسبيح في الكتاب المقدس مرتبط دائماً بخوف الله أو هيبته الفائقة. يعمل التسبيح على تحقيق التدخل الإلهي، وهو أيضاً تجاوبنا المناسب الذي يليق بذلك التدخل. نقرأ في (خروج ١٥: ١٠-١١) تلك التسبيحة التي رفعها الشعب القديم بعد خروجهم أحراراً من مصر، وبعد أن غرق جيش فرعون في البحر الأحمر.

«نَفَخْتَ بِرِيحِكَ فَغَطَّاهُمُ الْبَحْرُ. غَاصُوا كَالرَّصَاصِ فِي مِيَاهٍ غَامِرَةٍ. مَنْ مِثْلُكَ بَيْنَ الآلِهَةِ يَا رَبُّ؟ مَنْ مِثْلُكَ مُعْتَزّاً فِي الْقَدَاسَةِ، مَخُوفاً بِالتَّسَابِيحِ، صَانِعاً عَجَائِبَ؟».

لاحظ عبارة «**مَخُوفاً بِالتَّسَابِيحِ**»، فالتسبيح يعلن ويدعو إلى مخافة الله وهيبته، وخاصة ضد أعداء شعب الله.

ويعلن (المزمور٢٢: ٢٣):

«يَا خَائِفِي الرَّبِّ، سَبِّحُوهُ. مَجِّدُوهُ يَا مَعْشَرَ ذُرِّيَّةِ يَعْقُوبَ، وَاخْشُوهُ يَا زَرْعَ إِسْرَائِيلَ جَمِيعاً.»

التسبيح أيضاً هو التجاوب المناسب من جهة شعب الله أمام رهبة الله وأمام أعماله المخوفة في الحرب من أجل شعبه نيابة عنهم.

يقـول (مزمور٨: ٢):

«مِـنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ أَسَّسْتَ حَمْداً...»
«بِسَبَبِ أَضْدَادِكَ، لِتَسْكِيتِ عَدُوٍّ وَمُنْتَقِمٍ.»

ونـرى هنـا أن الله وفـر لشـعبه قـوة ضـد أعدائهـم. وفي هـذا العـدد تُسـتخدم كلمتـان لوصـف العـدو: الأولـي: «أَضْـدَادِكَ» بصـيغة الجمـع، وأعتقـد أن هـذه الكلمـة تعـود على مملكة الشـيطان بشـكل عـام، فالأضـداد هـم الرياسـات والسـلاطين والـولاة وأجنـاد الـشر الروحيـة الـتي يتحـدث عنهـا بولـس فـي (أفسـس ٦: ١٢). أمـا الكلمـة الثانيـة: فـهي «عَـدُوٍّ» بالمفـرد، وأعتقـد إنهـا تعـود على الشـيطان نفسـه.

وقـد وفـر الله لشـعبه القـوة ليتعامـل بهـا مـع مملكـة الشـيطان بأكملهـا. ويعلـن (مـتى ٢١: ١٥-١٦) طبيعـة هـذه القـوة بوضـوح، حيـث كان يسـوع يُجـري

بعض المعجزات في الهيكل، وكان الأطفال يركضون ذهاباً وإياباً بفرح قائلين: «**أُوصَنَّا لابْنِ دَاوُدَ!**» فطلب القادة المتدينون من يسوع أن يُسكت هؤلاء الأطفال.

«**فَلَمَّا رَأَى رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ الْعَجَائِبَ الَّتِي صَنَعَ، وَالأَوْلاَدَ يَصْرَخُونَ فِي الْهَيْكَلِ وَيَقُولُونَ: «أُوصَنَّا لاِبْنِ دَاوُدَ» غَضِبُوا، وَقَالُوا لَهُ: «أَتَسْمَعُ مَا يَقُولُ هَؤُلاَءِ؟». فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «نَعَمْ! أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ: مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ هَيَّأْتَ تَسْبِيحاً؟».**

أجابهم يسوع مقتبساً (مزمور ٨ : ٢)، لكنه غيَّر في الكلمات المقتبسة قليلاً؛ ففي الأصل العبري ترد كلمات المزمور كما يلي: "بأفواه الأطفال والرضع أسست عزة (الترجمة اليسوعية)...". والعزة هنا تعني القوة وعندما إقتبس يسوع هذه الكلمات

قال: «**مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ هَيَّأْتَ تَسْبِيحاً**»، وكأن هذه الكلمات هي تعليق يسوع الشخصي على منطوق المزمور، وذلك لإعلان أن التسبيح هو قوة شعب الله. نعم، إن التسبيح هو مصدر عظيم للقوة.

وفيما يلي المزيد من الملاحظات حول هذا الإعلان:

أولاً، قرأنا في ذلك المقطع العبارة «بأفواه...» أو «مِنْ أَفْوَاهِ...»، وهي تشير إلى أن الفم هو القناة الرئيسية لإطلاق أسلحتنا الروحية ضد مملكة الشيطان.

ثانياً، يتحدث النص عن «الأَطْفَالِ» و «الرُّضَّعِ». وفي ذلك إشارة إلى أولئك الذين لا يتمتعون بقوة في أنفسهم، بل ينبغي أن يعتمدوا على قوة الله.

نقرأ في (متى ١١: ٢٥):

«فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَالَ يَسُوعُ: «أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ.»

كان يسوع يتحدث عن تلاميذه في هذا المقطع. «فالأَطْفَالِ» ليسوا بالضرورة أولئك المولودين حديثاً بالجسد، بل هم الذين لا يملكون قوة خاصة، وينبغي أن يعتمدوا كلياً على قوة الله.

أما الغرض من إستخدام التسبيح كسلاح فهو إسكات الشيطان. وهذا يتوافق مع (رؤيا ١٢: ١٠)، حيث نجد في هذه الآية إعلاناً لم يتحقق بعد، لكنه يخبرنا الكثير عن نشاط الشيطان في وقتنا الحالي.

«وَسَمِعْتُ صَوْتاً عَظِيماً قَائِلاً فِي السَّمَاءِ: «الآنَ صَارَ خَلاَصُ إِلَهِنَا وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ وَسُلْطَانُ مَسِيحِهِ، لأَنَّهُ قَدْ طُرِحَ الْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا الَّذِي كَانَ يَشْتَكِي عَلَيْهِمْ أَمَامَ إِلَهِنَا نَهَاراً وَلَيْلاً.»

من هنا نعرف أن سلاح الشيطان الرئيسي ضدنا ونشاطه الأساسي هو أن يشتكي علينا، إنه يشتكي علينا (أي يتهمنا) بإستمرار أمام الله نهاراً وليلاً. وهنا يخطر في بالي ما يلي:

• إن كان الشيطان مشغولاً ليلاً نهاراً، فلا يكفي أن ننشغل نحن نهاراً فقط! بل ينبغي أن نواجهه ليلاً ونهاراً.

• يشتكي الشيطان علينا لكي يدفعنا إلى الشعور بالذنب، هذا هو سلاحه الرئيسي ضدنا.

وقد تقول : "إذاً، لماذا لا يُسكت الله الشيطان؟" والسبب ببساطة هو أن الله وفر لنا الوسائل لإسكات الشيطان، ولن يفعل هو ذلك نيابة عنا. لقد جعل الله لنا التسبيح «**مِنْ أَفْوَاهِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ**» يصعد التسبيح إلى السموات، ويرتقي إلى عرش الله، لتسكيت إتهامات الشيطان ضدنا.

وفي (رؤيا ١٦: ١٣-١٤) نبوة، ولن أحاول أن أشرح الكيفية التي ستتحقق بها هذه النبوة تاريخياً، لكنني أريد أن أُشير إلى مبدأ مهم. يقول يوحنا:

«**وَرَأَيْتُ مِنْ فَمِ التِّنِّينِ، وَمِنْ فَمِ الْوَحْشِ، وَمِنْ فَمِ النَّبِيِّ الْكَذَّابِ، ثَلاَثَةَ أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ شِبْهَ ضَفَادِعَ، فَإِنَّهُمْ أَرْوَاحُ شَيَاطِينَ صَانِعَةٌ آيَاتٍ، تَخْرُجُ عَلَى مُلُوكِ الْعَالَمِ وَكُلِّ الْمَسْكُونَةِ لِتَجْمَعَهُمْ لِقِتَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، يَوْمِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.**»

فالأرواح الشيطانية النجسة هنا تعمل بأفواهها أيضاً! التسبيح الذي يُسكت الشيطان يخرج من أفواه شعب الله. القوى الروحية الشيطانية تنطلق من خلال أفواه العاملين إلى جانب الشيطان، فمن فم التنين ومن فم الوحش ومن فم النبي الكاذب تخرج أرواح نجسة. وبصورة ما، يشير هذا إلى أن المنتصر في الحرب الروحية هو ذلك الجانب الذي يستخدم فمه بفاعلية أكبر. فإن لم نتعلم كيف نستخدم أفواهنا، فلن نكسب الحرب.

وتُشبه الأرواح النجسة هنا بالضفادع. ومن الجدير بالملاحظة أن الضفادع تُصدر، في الليل فقط، ضجيجها الذي لا ينقطع، ونقيقها الرتيب المتكرر طوال ساعات الظلام. وأعتقد أن في ذلك صورة واضحة جداً عن أحد الأساليب التي نعرفها في حضارتنا المعاصرة وهو الدعاية والترويج.

وكثيراً ما يكون الترويج أداة شيطانية تهدف إلى نشر أفكار كاذبة، أو تعزيز أهداف سياسية مُغرضة، أو دعم حكام أشرار. أما التسبيح الذي يخرج من أفواه شعب الله، فهو واحد من الأساليب العظيمة للتعامل مع هذه القوى.

مثال آخر على قوة التسبيح في (مزمور ١٤٩: ٦-٩):

«تَنْوِيهَاتُ اللهِ فِي أَفْوَاهِهِمْ، وَسَيْفٌ ذُو حَدَّيْنِ فِي يَدِهِمْ، لِيَصْنَعُوا نَقْمَةً فِي الأُمَمِ، وَتَأْدِيبَاتٍ فِي الشُّعُوبِ. لأَسْرِ مُلُوكِهِمْ بِقُيُودٍ، وَشُرَفَائِهِمْ بِكُبُولٍ مِنْ حَدِيدٍ، لِيُجْرُوا بِهِمُ الْحُكْمَ الْمَكْتُوبَ. كَرَامَةٌ هَذَا لِجَمِيعِ أَتْقِيَائِهِ. هَلِّلُويَا!»

إنه عمل في متناول جميع شعب الله من خلال التسبيح، ويرافق التسبيح سيف ذو حدين الذي هو كلمة الله، وهذا يشير إلى ضرورة ترافق التسبيح

والكلمة. فالتسبيح وكلمة الله يجب أن يسيرا جنباً إلى جنب، فالتسبيح المرتبط بكلمة الله يكون أداة لدينونة الملوك والأمم. أما الملوك والشرفاء في هذا النص فهم الرتب الملائكية الشيطانية من ملوك وأمراء. وقد دفع الله إلينا ـ نحن شعبه المؤمن ـ سلطان إجراء الحكم المكتوب بتلك الرتب الشيطانية، أي أن ننفذ دينونة الله العادلة عليهم، وهو إمتياز منحه الله لجميع قديسيه.

يقول بولس للمؤمنين في(١كورنثوس ٦: ٢-٣)

«أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْقِدِّيسِينَ سَيَدِينُونَ الْعَالَمَ؟ فَإِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُدَانُ بِكُمْ، أَفَأَنْتُمْ غَيْرُ مُسْتَأْهِلِينَ لِلْمَحَاكِمِ الصُّغْرَى؟ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّنَا سَنَدِينُ مَلاَئِكَةً؟...»

نحن نمتلك هذا السلطان بواسطة كلمة الله

وبواسطة سلاح التسبيح. لقد منحنا الله سلطان إجراء دينونة الله على الملائكة والسلاطين والملوك والشعوب والأمم، وهذا يتضمن سلطاناً عظيماً وقوة هائلة.

الفصل السابع عشر

سلاح الكرازة

يرتبط هذا السلاح الهجومي بكلمة الله بصورة أكثر مباشرة وتحديداً، فالكرازة هي إعلان كلمة الله بالتحديد ولا شيء غير كلمة الله. ولا تنطبق هذه الكلمة ـ بمعناها الكتابي ـ على الكرازة بأي شيء آخر كالفلسفة البشرية أو الأيديولوجيات السياسية ولا حتى الدراسات اللاهوتية العميقة.

نبدأ بالوصية الجليلة التي يناشد بها بولس تيموثاوس في (٢تيموثاوس ٤: ١-٤):

«أَنَا أُنَاشِدُكَ إِذاً أَمَامَ اللهِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ،

الْعَتِيدِ أَنْ يَدِينَ الأَحْيَاءَ وَالأَمْوَاتَ، عِنْدَ ظُهُورِهِ وَمَلَكُوتِهِ: اكْرِزْ بِالْكَلِمَةِ. اعْكُفْ عَلَى ذَلِكَ فِي وَقْتٍ مُنَاسِبٍ وَغَيْرِ مُنَاسِبٍ. وَبِّخِ، انْتَهِرْ، عِظْ بِكُلِّ أَنَاةٍ وَتَعْلِيمٍ. لأَنَّهُ سَيَكُونُ وَقْتٌ لاَ يَحْتَمِلُونَ فِيهِ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ، بَلْ حَسَبَ شَهَوَاتِهِمُ الْخَاصَّةِ يَجْمَعُونَ لَهُمْ مُعَلِّمِينَ مُسْتَحِكَّةً مَسَامِعُهُمْ، فَيَصْرِفُونَ مَسَامِعَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَيَنْحَرِفُونَ إِلَى الْخُرَافَاتِ.»

أحب أن أُلقي الضوء هنا على بعض النقاط الهامة:

أولاً، جدية هذه الوصية وهيبتها. لقد قدم بولس وصيته هذه «**أَمَامَ اللهِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ**». وذلك في ضوء أن يسوع سَيَدِين «**الأَحْيَاءَ وَالأَمْوَاتَ، عِنْدَ ظُهُورِهِ وَمَلَكُوتِهِ**». إنها واحدة من أكثر الوصايا هيبة قد أُعطيت إلى خادم الله.

ثانياً: محتوى الوصية هو الكرازة بالكلمة. وهذا يبين مسئولية الكارز عن الرسالة التي يكرز بها. والإشارة إلى أن يسوع سيدين الأحياء والأموات تتضمن أن الكارز سيقف أمام الرب ويُسأل عن ما كرز به.

إننا نقف أمام تحذيراً بعدم مجاملة المتمردين الباحثين عن ملذاتهم، والذين لا يريدون سماع الحق باحثين عن من يكرز لهم بما يريدون سماعه. وينبهنا بولس إلى أن الحق لن يكون مقبولاً من الجميع، مع ذلك، ورغم المعارضة والإنتقاد، تبقى الوصية كما هي: «اكرز بالكلمة».

وفي الكتاب المقدس الكثير والكثير عن فاعلية كلمة الله. يقول الله في (إشعياء ٥٥: ١١):

«هَكَذَا تَكُونُ كَلِمَتِي الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ فَمِي. لاَ

تَرْجِعُ إِلَيَّ فَارِغَةً، بَلْ تَعْمَلُ مَا سُرِرْتُ بِهِ، وَتَنْجَحُ فِي مَا أَرْسَلْتُهَا لَهُ.»

وفي (إرميا ٢٣: ٢٩):

«أَلَيْسَتْ هَكَذَا كَلِمَتِي كَنَارٍ يَقُولُ الرَّبُّ، وَكَمِطْرَقَةٍ تُحَطِّمُ الصَّخْرَ؟»

ثم في (عبرانيين ٤: ١٢) حيث نقرأ:

«لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ، وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ.»

تتضمن الكرازة بكلمة الله قوة هائلة، بالإضافة إلى أن نتائجها مضمونة، حيث إنها تحقق مسرة الله ولا ترجع إليه فارغة. إنها مِطْرَقَةٍ تُحَطِّمُ الصَّخْرَ الذي يقف في طريق مقاصد الله؛ وإنها مثل السيف

الحاد الذي يخترق إلى أعماق شخصية الإنسان، ويكشف أسرار قلوب الناس وعقولهم.

كما نجد في (أعمال ١٩: ٨-١٠) مثالاً على قوة الكرازة بكلمة الله من خدمة بولس في أفسس:

«ثُمَّ دَخَلَ الْمَجْمَعَ وَكَانَ يُجَاهِرُ مُدَّةَ ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ مُحَاجّاً وَمُقْنِعاً فِي مَا يَخْتَصُّ بِمَلَكُوتِ اللهِ. وَلَمَّا كَانَ قَوْمٌ يَتَقَسَّوْنَ وَلاَ يَقْنَعُونَ شَاتِمِينَ الطَّرِيقَ أَمَامَ الْجُمْهُورِ، اعْتَزَلَ عَنْهُمْ وَأَفْرَزَ التَّلاَمِيذَ مُحَاجّاً كُلَّ يَوْمٍ فِي مَدْرَسَةِ إِنْسَانٍ اسْمُهُ تِيرَانُّسُ. وَكَانَ ذَلِكَ مُدَّةَ سَنَتَيْنِ حَتَّى سَمِعَ كَلِمَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ جَمِيعُ السَّاكِنِينَ فِي أَسِيَّا مِنْ يَهُودٍ وَيُونَانِيِّينَ.»

نستطيع أن نصف هذه الخدمة الكرازية التي قدمها بولس في ثلاث كلمات: مكثفة، متواصلة، واسعة النطاق. لقد علم بولس بكلمة الله يومياً

ولمدة سنتين، وكانت خدمته واسعة النطاق من حيث إنها وصلت إلى جميع الساكنين في مقاطعة أسيا. وكثيراً ما نغفل عن هذه الحقيقة غير مدركين أن بولس أمضى أكثر من سنتين في أفسس كارزاً يومياً بكلمة الله.

وكانت النتائج أشبه ما تكون بإلقاء حجر في بِركة، ثم مراقبة حلقات الماء التي تنطلق من موضع سقوط الحجر وتتسع في كل الإتجاهات إلى أن تصل إلى أبعد الأطراف من البركة.

أما النتيجة الأولى لكرازة بولس فكانت تأييداً إلهياً فائقاً، فالكتاب المقدس يقول إن الله يؤيد كلمته. إنه لا يؤيد النظريات والفلسفات البشرية، ولا حتى الألقاب الطائفية، لكنه يؤيد كلمته. وهذا ما عمله الله مع بولس إذ نقرأ في (أعمال ١٩: ١١):

«وَكَانَ اللهُ يَصْنَعُ عَلَى يَدَيْ بُولُسَ قُوَّاتٍ غَيْرَ الْمُعْتَادَةِ».

كم أُحب هذه العبارة: «قُوَّاتٍ غَيْرَ الْمُعْتَادَةِ» أتعلم ماذا يتضمن ذلك؟ إنه يتضمن وجود قوات معتادة وأخرى غير معتادة كتلك التي حدثت في أفسس. وقد سألت نفسي هذا السؤال مراراً: كم هي الكنائس التي فيها اليوم قوات معتادة، بغض النظر عن القوات غير المعتادة؟ ثم يصف لوقا هذه القوات غير المعتادة في (أعمال ١٩: ١٢) قائلاً:

«حَتَّى كَانَ يُؤْتَى عَنْ جَسَدِهِ [أي عن جسد بولس] بِمَنَادِيلَ أَوْ مَآزِرَ إِلَى الْمَرْضَى فَتَزُولُ عَنْهُمُ الأَمْرَاضُ، وَتَخْرُجُ الأَرْوَاحُ الشِّرِّيرَةُ مِنْهُمْ.»

وأستطيع أن أشهد من الخبرة الشخصية بأنني قد

رأيت قوات كهذه تحدث في أيامنا هذه، فلم ينته زمن المعجزات. أما العامل الرئيسي الذي يفتح الباب أمام هذه الإظهارات، فهو الكرازة بكلمة الله.

إذاً كانت النتيجة الأولى لكرازة بولس في أفسس تأييداً إلهياً فائقاً لرسالته، وكان ذلك التأييد من خلال القوات والمعجزات.

أما النتيجة الثانية فكانت إخراج الأرواح الشريرة وكشفها. نقرأ معاً في (أعمال ١٩: ١٣-١٦):

«فَشَرَعَ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ الطَّوَّافِينَ الْمُعَزِّمِينَ أَنْ يُسَمُّوا عَلَى الَّذِينَ بِهِمِ الأَرْوَاحُ الشِّرِّيرَةُ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ قَائِلِينَ: «نُقْسِمُ عَلَيْكَ بِيَسُوعَ الَّذِي يَكْرِزُ بِهِ بُولُسُ!». وَكَانَ سَبْعَةُ بَنِينَ لِسَكَاوَا، رَجُلٍ يَهُودِيٍّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ، الَّذِينَ فَعَلُوا هذَا. فَأَجَابَ الرُّوحُ الشِّرِّيرُ وَقَالَ: «أَمَّا يَسُوعُ فَأَنَا أَعْرِفُهُ وَبُولُسُ

أَنَـا أَعْلَمُـهُ. وَأَمَّـا أَنْتُـمْ فَمَـنْ أَنْتُـمْ؟». فَوَثَـبَ عَلَيْهِـمُ الإِنْسَـانُ الَّذِي كَانَ فِيـهِ الـرُّوحُ الشِّرِّيـرُ وَغَلَبَهُـمْ وَقَـوِيَ عَلَيْهِـمْ حَـتَّى هَرَبُـوا مِـنْ ذَلِـكَ الْبَيْـتِ عُـرَاةً وَمُجَرَّحِـينَ.»

مـن المهـم في الخدمـة أن ينكشـف عمـلاء الشـيطان الذيـن يعملـون في الخفـاء. فالشـياطين والأرواح الشريرة هـم عمـلاء الشـيطان السريـين، وتُعتـبر مرحلـة عظيمة مـن التقـدم في خدمـة الكلمـة أن ينكشـف أمـر الأرواح الشريـرة علنـاً. هـذا مـا حـدث في أفسـس، وكـم تثـيرني تلـك الكلمـات الـتي إعـترف بهـا الـروح الشريـر عندمـا قـال:

«أما يسوع فأنا أعرفه، وبولس فأنا أعلمه.»

فأنـا أعتبرها تشـجيعاً غـير مباشر عندمـا يقول ممثل الشـيطان عن الـكارز: فأنا أعلمـه؛ إنه يحقق شـيئاً ما.

أما النتيجة الثالثة لكرازة بولس فهي تحطيم سيطرة السحر في المدينة كلها،و نقرأ هذا في (أعمال ١٩: ١٧-١٩):

«وَصَارَ هَذَا مَعْلُوماً عِنْدَ جَمِيعِ الْيَهُودِ وَالْيُونَانِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي أَفَسُسَ. فَوَقَعَ خَوْفٌ عَلَى جَمِيعِهِمْ، وَكَانَ اسْمُ الرَّبِّ يَسُوعَ يَتَعَظَّمُ. وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَأْتُونَ مُقِرِّينَ وَمُخْبِرِينَ بِأَفْعَالِهِمْ، وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ السِّحْرَ يَجْمَعُونَ الْكُتُبَ وَيُحَرِّقُونَهَا أَمَامَ الْجَمِيعِ. وَحَسَبُوا أَثْمَانَهَا فَوَجَدُوهَا خَمْسِينَ أَلْفاً مِنَ الْفِضَّةِ.»

نرى هنا كَثِيرُينَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وهم مازالوا يستعملون أمور السحر، وهو وضع يشبه ما نراه في الكنيسة اليوم؛ قدم في ملكوت الله و الأخرى في مملكة الشيطان. لكنهم لما رأوا ذلك البرهان

المخيف على حقيقة قوة الشيطان، قرروا أن يخضعوا كلياً لله وأعطوا ظهورهم للشيطان. وكدليل على موقفهم ذاك، أحضروا الكتب والمخطوطات التي تحتوي على تعاليم السحر والشعوذة، وأحرقوها علناً أمام الجميع في مدينة أفسس.

كانت قيمة تلك الكتب حوالي خمسين ألفاً من الفضة، وكان درهم الفضة يعادل أجرة يوم واحد من العمل آنذاك. أي إنهم أحرقوا ثروة كبيرة تعادل خمسين ألف يوم عمل!

فلننظر إلى توضيح مختصر لذلك كما تضعه كلمة الله في (أعمال ١٩: ٢٠):

«هَكَذَا كَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ تَنْمُو وَتَقْوَى بِشِدَّةٍ.»

فكلمة الله كانت القوة وراء ذلك كله. لقد أنتجت

خدمة بولس الكرازية بالكلمة نتائج فعالة وحاسمة لأكثر من عامين، فتحطمت مملكة الشيطان في تلك المدينة من أساسها، وتهدمت حصونها.

وفي (أعمال ٢٠: ٢٠، ٢٦-٢٧) من كلمات بولس نفسه مشيراً إلى خدمته في أفسس:

«(أنتم تعلمون) كَيْفَ لَمْ أُؤَخِّرْ شَيْئاً مِنَ الْفَوَائِدِ إِلاَّ وَأَخْبَرْتُكُمْ، وَعَلَّمْتُكُمْ بِهِ...»

«لِذَلِكَ أُشْهِدُكُمُ الْيَوْمَ هَذَا أَنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ الْجَمِيعِ، لأَنِّي لَمْ أُؤَخِّرْ أَنْ أُخْبِرَكُمْ بِكُلِّ مَشُورَةِ اللهِ.»

لقد لخص بولس خدمته بأنها لم تخضع للتحفظ والمساومة. تلك هي الكرازة بكلمة الله التي تحقق تأثيرات مماثلة. وكم نحتاج إلى هذا النوع من الكرازة اليوم.

الفصل الثامن عشر

سـلاح الشـهادة

علينـا أن نبـدأ بالتميـيز بـين الشـهادة والكـرازة. فالكـرازة هي تقديـم حقائـق كلمـة الله مبـاشرة، أمـا الشـهادة فهي تتعلق بمـا نقدمه من تجربتنا الشـخصية من أحـداث تتعلق بكلمة الله وتؤكـد حقائقها. مثلاً، إن كنا نكـرز برسـالة الشـفاء، فنحن نكـرز بالمبادئ الـتي يعتمد عليها الشـفاء ونقـدم وعـود الله المختصة بذلـك. لكـن إذا أردنـا أن نشـهد عـن الشـفاء فيعني ذلـك أن نتحـدث عـن حادثـة إختبرنـا فيهـا الشـفاء الإلـهي لنـا. إذاً الكـرازة والشـهادة مرتبطتـان بكلمة الله، لكنهمـا تقدمـان الكلمـة من زوايـا مختلفة.

الشهادة هى الأساس في إستراتيجية يسوع للوصول إلى العالم كله بالإنجيل. ولقد كشف يسوع هذه الإستراتيجية في كلماته الأخيرة على الأرض، عندما وقف على جبل الزيتون مع تلاميذه، وكان على وشك الرحيل عنهم فقال في (أعمال ١: ٨):

«لَكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهُوداً فِي أُورُشَلِيمَ، وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ، وَالسَّامِرَةِ، وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ».

ونلاحظ:

أولاً: إننا نحتاج إلى قوة فوق طبيعية كي نكون شهوداً فعالين ليسوع. فشهادتنا فائقة وتحتاج إلى أن تُدعم بقوة الروح القدس الفائقة. ولم يسمح يسوع لتلاميذه بالإنطلاق للشهادة إلى أن لبسوا قوة من الأعالي يوم الخمسين.

ثانياً: هي أن يسوع لم يقل: "ستشهدون" كما يعتقد الكثيرون من المتدينين اليوم. لكنه قال: «تكونون لي شهوداً» وهذا يتضمن أكثر من الكلمات التي نتحدث بها مع الناس أو النبذ التي نوزعها؛ إنها حياتنا بمجملها تكون شاهدة ليسوع ولحق الإنجيل.

ثالثاً: أن يسوع وضع تصوراً لدائرة دائمة الإتساع، وقال لهم إبدأوا حيث أنتم في أورشليم، إذهبوا وإشهدوا لي لكي يؤمنوا ويمتلئوا بالروح القدس، ثم أطلقوهم لكي يشهدوا بدورهم لآخرين يؤمنون هم أيضاً ويمتلئون من الروح القدس وينطلقون إلى آخرين وهكذا. قال يسوع إن البداية هي أورشليم، ثم إلى اليهودية من بعدها، ثم إلى السامرة، ولن تتوقف هذه العملية إلا عندما تصل إلى أقصى الأرض.

كانت كلمات يسوع الأخيرة التي تكلم بها على الأرض. كان عقله وقلبه مُعلقين بكل البشر في كل أطراف الأرض، ولن يشبعه إلا أن يصل الإنجيل إلى كل واحد منهم. وكانت إستراتيجيته الأساسية للوصول إلى العالم أجمع تتلخص في أن يكون كل المؤمنين شهوداً له، يشهدون للآخرين ويربحونهم إلى الملكوت، حيث يبدأ أولئك بدورهم بالشهادة وربح النفوس، وكتموجات الماء التي تحدث عندما نلقي حجراً في بركة، هكذا تتسع هذه العملية لتشمل الأرض كلها.

وإذا نظرنا إلى التاريخ نرى أن هذه الإستراتيجية قد نجحت بالفعل عندما طبقها شعب الله. فخلال ثلاثمائة عام هزمت شهادة المؤمنين الإمبراطورية الرومانية. وأعتقد أن تلك القوة الروحية الرئيسية التي هزمت تلك الأمبراطورية الوثنية، كانت شهادة

الآلاف المؤلفة من المؤمنين من مختلف الخلفيات العرقية والمستويات الإجتماعية والمذاهب الدينية المختلفة، والذين صرحوا جميعاً قائلين: "لقد غير يسوع حياتي". وفي النهاية، حطم تأثير هذه الشهادة إمبراطورية الرومان بكل قوتها وقسوتها وجبروتها.

ويشير الكتاب المقدس إلى أن سلاح الشهادة نفسه سيحطم مملكة الشيطان في النهاية. نرى هذا في صورة نبوية نجدها في (رؤيا ١٢: ٧-١١) حيث تصف هذه الأعداد حرباً عظيمة تمتد على إتساع السماء والأرض في نهاية هذا الدهر، ويخوض تلك الحرب الملائكة والبشر معاً:

«وَحَدَثَتْ حَرْبٌ فِي السَّمَاءِ: مِيخَائِيلُ وَمَلاَئِكَتُهُ حَارَبُوا التِّنِّينَ. وَحَارَبَ التِّنِّينُ وَمَلاَئِكَتُهُ وَلَمْ يَقْوُوا، فَلَمْ يُوجَدْ مَكَانُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي السَّمَاءِ.

فَطُرِحَ التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ ـ طُرِحَ إِلَى الأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلاَئِكَتُهُ. وَسَمِعْتُ صَوْتاً عَظِيماً قَائِلاً فِي السَّمَاءِ: «الآنَ صَارَ خَلاَصُ إِلَهِنَا وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ وَسُلْطَانُ مَسِيحِهِ، لأَنَّهُ قَدْ طُرِحَ الْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا الَّذِي كَانَ يَشْتَكِي عَلَيْهِمْ أَمَامَ إِلَهِنَا نَهَاراً وَلَيْلاً.»

«**الْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا**» هو الشيطان. وهنا وصف لعملية طرحه من مملكته في السماويات، ويتبعه وصف للكيفية التي يغلب بها المؤمنون الشيطان.

ويقول في (رؤيا ١٢: ١١):

«**وَهُمْ** (أي المؤمنين) **غَلَبُوهُ** (أي الشيطان) **بِدَمِ الْحَمَلِ وَبِكَلِمَةِ شَهَادَتِهِمْ، وَلَمْ يُحِبُّوا حَيَاتَهُمْ حَتَّى الْمَوْتِ.**»

سلاحهم الرئيسي هو شهادتهم التي ستهز في النهاية مملكة الشيطان بأكملها. وأعتقد أن تلك الشهادة تعتمد على أمرين: كلمة الله ودم يسوع، فالشهادة تطلق القوة الكامنة في الكلمة وفي الدم.

ويمكننا تطبيق ذلك بطريقة بسيطة وعملية لأنفسنا: نغلب الشيطان عندما نشهد شخصياً بما تقوله كلمة الله عن عمل دم يسوع فينا.

وسوف ترى أهمية الشهادة الشخصية بما تقوله كلمة الله عن الدم.

وهناك عدة طرق نستطيع أن نشهد من خلالها. إحداها العشاء الرباني أو "الأفخارستيا" ربما لا نرى العشاء الرباني على إنه شهادة في أغلب الأحيان، لكنه ـ في الواقع ـ شهادة متواصلة بإيماننا في الكلمة وفي الدم.

يقـول بولـس في (١كورنثـوس ١١: ٢٦) مشـيراً إلى العشـاء الربـاني:

«فَإِنَّكُـمْ كُلَّمَـا أَكَلْتُـمْ هَـذَا الْخُـبْزَ وَشَرِبْتُـمْ هَـذِهِ الْـكَأْسَ تُخْـبِرُونَ بِمَـوْتِ الـرَّبِّ إِلَى أَنْ يَـجِيءَ.»

نحـن نعـرف بـأن الـكأس يشـير إلى دم الرب يسـوع، لذلـك فنحـن ـ إذ نتقـدم إلى مائـدة الـرب ونشـترك في الخـبز والـكأس ـ نشـهد ونعلـن مـوت يسـوع وقيامتـه.

ولـكي نشـهد بفاعليـة بمـا تقـوله كلمـة الله عـن دم يسـوع، ينبـغي أن نعـرف مـا تقـوله الكلمـة بالفعـل عـن دم يسـوع. وتُعلـن كلمـة الله خمـس عطايـا بالغـة الأهميـة نحصـل عليهـا مـن خـلال دم يسـوع:

أولاً: نحـن مفديـون بـالدم، هـذا مـا نجـده في (أفسـس ١: ٧): **«الَّذِي فِيـهِ لَنَـا الْفِـدَاءُ،...»**.

ثانيـاً: خطايانـا قـد غفـرت، إذ يتابـع بولـس في العـدد السـابق قائـلاً: «**بِدَمِـهِ غُفْـرَانُ الْخَطَايَـا،...**»

إذاً لنا في دم يسوع:

١- الفداء (أي إننا أُفتدينا).

٢- الغفران (أي أن خطايانا قد غُفِرَت).

ثالثـاً: يطهرنـا الدم بإسـتمرار، يوفـر لنـا الدم طهـارة روحيـة متواصلـة، حيـث نقـرأ الكلمـات التاليـة مـن (١يوحنـا ١: ٧):

«**وَلَكِـنْ إِنْ سَـلَكْنَا فِي النُّـورِ كَمَـا هُـوَ فِي النُّـورِ، فَلَنَـا شَرِكَـةٌ بَعْضِنَـا مَـعَ بَعْـضٍ، وَدَمُ يَسُـوعَ الْمَسِـيحِ ابْنِـهِ يُطَهِّرُنَـا مِـنْ كُلِّ خَطِيَّـةٍ.**»

رابعـاً: تبررنـا بـالدم. وهـذا يعـني أن الله قـد جعلنـا

أبـراراً، فكأننـا لـم نخطـئ أبـداً. وذلـك لأننـا نصـير أبـراراً بـبر المسـيح الذي لـم يعـرف خطيـة.

هـذا مـا نجـده في (روميـة ٥: ٩): «**فَبِـالأَوْلَى كَثِـيراً وَنَحْـنُ مُتَـبَرِّرُونَ الآنَ بِدَمِـهِ نَخْلُـصُ بِـهِ مِـنَ الْغَضَـبِ.**»

خامسـاً: يخبرنـا الكتـاب المقـدس فـي (عبرانيـين ١٣: ١٢) إننـا نتقـدس بـدم يسـوع، وأن نتقـدس يعـني أن نتخصـص لله:

«**لِذَلِـكَ يَسُـوعُ أَيْضـاً، لِـكَيْ يُقَـدِّسَ الشَّـعْبَ بِـدَمِ نَفْسِـهِ، تَأَلَّـمَ خَـارِجَ الْبَـابِ.**»

هـذه هي إذاً العطايـا الخمـس العظيمـة الـتي يوفرهـا دم يسـوع وتعلنهـا كلمـة الله:

أولاً: نحن مفديون.

ثانياً: نحن مُسَامَحون.

ثالثاً: نحن مُطَهَرون.

رابعاً: نحن مُبَرَرون.

خامساً: نحن مُقَدَسون.

ولا تكون هذه العطايا فعالة في حياتنا بالكامل، إلا عندما نشهد بها شخصياً. ينبغي أن نتحلى بالجرأة الكافية لإعلان ما نؤمن به؛ ينبغي أن نعلنه بكلمات كهذه:

أنا مفدي بدم يسوع، إشتراني يسوع وأنقذني من يد الشيطان. خطاياي مغفورة بدم يسوع، طهرني يسوع من كل خطاياي بدمه. أنا مُبَرر بدم يسوع، فكأني لم أفعل خطية أبداً. أنا مُقَدس بدم يسوع، أنا مُخَصص لله، أنا لست تحت سلطان الشيطان فيما بعد.

تأمل في هذه الإمتيازات الخمسة التي يوفرها لك دم يسوع: الفداء، الغفران، التطهير، التبرير، التقديس. ثم آمن بأن هذه العطايا تصير فعالة فيك عندما تشهد عنها شخصياً. فبالشهادة الشخصية بهذه الحقائق نغلب الشيطان كما قالت كلمة الله في (رؤيا ١٢: ١١):

«وَهُمْ غَلَبُوهُ بِدَمِ الْخَمَلِ وَبِكَلِمَةِ شَهَادَتِهِمْ، وَلَمْ يُحِبُّوا حَيَاتَهُمْ حَتَّى الْمَوْتِ.»

فلكي نكون فعالين في مصارعتنا الروحية، ينبغي أن نبادر دائماً بالهجوم مستخدمين الأسلحة التي زودنا بها الله. فلا يكفي أن نلجأ إلى الدفاع عن النفس وننتظر أن ينقذنا الرب. فنحن جيش الغالبين، وأمم العالم قد حان وقتها وتهيأت لمن يفتحها بإنجيل الملكوت.

نبذة عن الكاتب
ديريك برنس

ولد ديريك برنس في الهند لوالدين إنجليزيين. وتعلم كدارس للغة اللاتينية واليونانية في جامعتي إيتون وكامبريدج، ببريطانيا، حيث حصل على زمالة في الفلسفة القديمة والحديثة من كلية كينج. وقد درس أيضاً العبرية والآرامية، كلاهما في جامعة كامبريدج والجامعة العبرية في أورشليم. بالإضافة إلى ذلك فهو يتحدث الكثير من اللغات الحديثة الأخرى.

أثناء تأديته للخدمة العسكرية في الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية الثانية، بدأ في دراسة الكتاب المقدس واختبر مقابلة مغيرة للحياة مع المسيح يسوع. ووصل لإستنتاجين من هذه المقابلة: أولاً أن

يسوع المسيح حي، وثانياً، أن الكتاب المقدس حقيقي، ومناسب، ومواكب للعصر. وهذان الإستنتاجان غيرا مسار حياته بالكامل. فمنذ ذلك الحين، كرس حياته لدراسة وتعليم الكتاب المقدس.

ووصل برنامجه الإذاعي «مفاتيح الحياة الناجحة»، لأكثر من نصف العالم ويتضمن ترجمات للغة العربية، والصينية، والكرواتية، والماليزية، والمنغولية، والروسية، والسامون، والإسبانية والتونغا. وقد ألف أكثر من ٥٠ كتاباً، وما يزيد عن ٥٠٠ تعليم مسجل و١٦٠ تعليم مصور، وقد تُرجم ونشر العديد منها بأكثر من ٦٠ لغة.

إن موهبة ديريك الأساسية هي تفسير الكتاب المقدس وتعليمه، بطريقة واضحة وبسيطة. وقد تسبب توجهه اللاطائفي واللامذهبي في جعل تعاليمه مناسبة تماماً وتساعد الأشخاص من كل الخلفيات العرقية والدينية

اصدارات أخرى لديريك برنس بالعربية

كتب:

- اسس الإيمان.
- يخرجون الشياطين.
- الكفارة.
- الإيمان الذي به نحيا.
- الحرب في السماويات.
- تلبسون قوة.
- أزواج وآباء.
- الدخول الى محضر الله.
- تشكيل التاريخ.
- عهد الزواج.
- مواجهة الأيام الأخيرة.
- شركاء مدى الحياة.
- الدواء الإلهي.
- الشكر التسبيح العبادة.
- العبور من اللعنة الى البركة.
- أسرار المحارب في الصلاة.
- دراسات شخصية في الكتاب المقدس.
- القوة الروحية المغيرة للحياة.
- ما جمعه الله.
- البركة أو اللعنة : أنت تختار!

كتيبات:

- المبادلة الإلهية العظمى.
- الأبوة.
- المصارعة الروحية.
- الروح القدس فينا.
- الرفض.
- ومتى صمتم.
- فكر الله من نحو المال.
- هل يحتاج لسانك الى شفاء؟
- الخلاص الكامل.
- المحبة المسرفة.
- الصلاة من أجل الحكومة.
- مشيئة الله لحياتك.

www.dpmarabic.com

موقع خدمة ديريك برنس

باللغة العربية

Derek Prince
Ministries-Arabic

ديريك برنس

إذا لمسك الرب من خلال هذا الكتاب شاركنا باختبارك على:

info@dpm.name

+447477151750

DPM